دور مصر في الصراع على الحكم بين أشراف الحجاز

(أزمة الشريف حمود مع الشريف سعد ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م أنموذجًا)

دكتور

أيمن أحمد عبد الفتاح عبد السلام

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

بكلية اللغة العربية بالقاهرة–جامعة الأزهر

ملخص البحث

كانت مصر بحكم موقعها بالنسبة للحجاز هي الأقدر على إرسال الحملات العسكرية العثمانية التي تهدف إلى الدفاع عن أمن الحرمين وإقرار الشرعية، بالإضافة إلى دورها الحضاري والإنساني في الحجاز، وثمة صراع عنيف قد اندلع بين أشراف مكة من أجل الوصول إلى الحكم؛ نظرا لما يجلبه منصب إمارتها من مكاسب مادية ضخمة إلى جانب الأهمية السياسية، وبخاصة في ظل اعتقاد الأشراف الحسنيين أحفاد قتادة بن إدريس أن لهم حقًا موروثًا في إيرادات مكة.

في سنة ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م توفي الشريف زيد بن محسن وتولى ابنه سعد الإمارة، وقد تم الاتفاق بين الشريف سعد والشريف حمود على تخصيص حصة من إيرادات الإمارة له مقابل تنازله عن المشاركة في الإمارة للشريف سعد، وكما هو متَّبع، أخطر الشريف سعد والي مصر الذي أخطر بدوره الباب العالي فصدر الأمر السلطاني بالموافقة على تعيين الشريف سعد في الإمارة، وبعد القرار تنكر الأمير سعد لاتفاقه مع الشريف حمود الذي أعلن عصيانه وخروجه عن طاعة الشريف سعد، ورحل من مكة إلى ينبع حيث ظل هناك، وأرسل ابنه أبا القاسم إلى والي مصر بذلك للتدخل لحل الأزمة.

فور علم والي مصر أرسل مبعوثا لتقصي الحقائق، لكن المبعوث أشيع قتله على يد أتباع الشريف حمود، مما دفع والي مصر لإرسال حملة عسكرية صغيرة مكونة من خمسمائة جندي لدعم موقف الشريف سعد، إلا أن حمود جمع عددًا كثيرًا من عرب جهينة، وهاجم الحملة المصرية عند ينبع وتمكنت قواته من القضاء على الحملة المصرية عام ١٦٦٧م.

كان لهذه المعركة أثر كبير ليس على مصر فحسب بل على الحجاز من غلاء للأقوات والغلال، وبدأت أزمة غذائية حادة في مكة والمدينة، أما مصر فالتهبت نيران الغضب عند أمرائها، وقرر الوالي إرسال حملة ضخمة فورًا على رأسها ثلاثة صناجق وقوة بحرية وفور وصول الحملة فرَّ الشريف حمود ليلاً، ولم تكن هذه نهاية الصراع بين الأشراف بل استمر وزادت وتيرته، وكانت مصر دائما هي التي تتحمل أمن مكة والمدينة وجدة وحماية المشاعر المقدسة والحجاج.

نجحت مصر في إنهاء الصراع بالقوة بعد فشل المفاوضات، لكن لم يقتصر دورها على إرسال الحملات لتأمين الحجاز وتأديب الخارجين على السلطة فقط، بل تعددت أدوارها التي كان أهمها الدور الاجتماعي والإنساني المتمثل في إرسال الغلال والأقوات، والأموال المخصصة للحرمين والموقوفة للحجاج، وإعادة إعمار البلاد المقدسة، كلما تعرضت للأخطار والكوارث الطبيعية، أو الاعتداء البشري المتعمد.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث يسبقهم مبحث تمهيدي، بعنوان: حكم الأشراف للحجاز، وجاء المبحث الأول بعنوان: دور مصر في صراع الأشراف قبل أزمة الشريف حمود والشريف سعد، تناولت فيه صراع الأشراف في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري وأسبابه والدور المصري في هذا الصراع، كما تناولت الوجود العسكري والسياسي لمصر في الحجاز. والمبحث الثاني: أهتم بعرض دور مصر في الصراع بين الشريف حمود والشريف سعد بداية من سنة١٠٧٧هـ/١٦٦٦م، سواء كان هذا الدور عسكريًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا وإنسانيًا، وتناولت في المبحث الرابع: دور

مصر والدولة العثمانية في زيادة هذا الصراع، تناولت فيه مسئولية الدولة العثمانية ممثلة في الوالي المصري من إزكاء الصراع بين أشراف مكة، وختمت البحث بأهم النتائج المستخلصة.

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التأريخي التحليلي للأحداث ونقدها، مع الاعتماد على المصادر الأولية لهذه الأحداث من مخطوطات ومصادر أصيلة، ومراجع ورسائل جامعية، ودوريات علمية، أثْرت البحث وأضافة إليه الكثير، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم.

Summary

"The role of Egypt in the struggle for governance between the supervision of the Hijaz (The crisis of Sharif Hamoud 1077 AH / 1666 AD model)"

Dr. Ayman Ahmed Abdel Fattah Abdel Salam

In the year 1077 AH / 1666, Sharif bin Zaid bin Mohsen died and his son Saad took over the emirate. It was agreed between Sharif Saad and Sharif Hamoud to allocate a share of the emirate's revenues to him in return for his abdication of the emirate to Sharif Saad. As is the case, The Supreme Court issued a royal decree approving the appointment of Sharif Saad in the emirate. After the decision, Prince Saad denied his agreement with Sharif Hamoud, who announced his disobedience and went out of obedience to Sharif and traveled from Mecca to Yanbu where he remained there and sent his son Aba Al Qasim to Egypt to inform the governor.

After the flag of Egypt sent an envoy to resolve the crisis, but the envoy was killed by the followers of Sharif Hamoud, prompting the governor of Egypt to send a small military campaign of five hundred soldiers to support the position of Sharif Saad, but Hammoud collected a large number of Arabs Juhaina and attacked the Egyptian campaign at Yanbu and managed his forces From the elimination of the Egyptian campaign in 1667.

The battle had a great impact not only in Egypt, but in the Hijaz as well as increased prices of grain and yield and began a severe food crisis in Mecca and Medina, Egypt flared flames of anger at the princes of Egypt and decided Governor Hussein Pasha Jumblatt to send a huge campaign immediately on top of three trenches and a naval force and the arrival of the campaign Sharif Hamoud fled at night.

المقدمة

كانت مصر بحكم موقعها بالنسبة للحجاز هي الأقدر على إرسال الحملات العسكرية العثمانية التي تهدف إلى الدفاع عن أمن الحرمين وإقرار الشرعية، بالإضافة إلى دورها الحضاري والإنساني في الحجاز، وثمة صراع عنيف قد اندلع بين أشراف مكة من أجل الوصول إلى الحكم؛ نظرا لما يجلبه منصب إمارتها من مكاسب مادية ضخمة إلى جانب الأهمية السياسية، وبخاصة في ظل اعتقاد الأشراف الحسنيين أحفاد قتادة بن إدريس أن لهم حقًا موروثًا في إيرادات مكة.

في سنة ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م توفي الشريف زيد بن محسن وتولى ابنه سعد الإمارة، وقد تم الاتفاق بين الشريف سعد والشريف حمود على تخصيص حصة من إيرادات الإمارة له مقابل تنازله عن المشاركة في الإمارة للشريف سعد، وكما هو متَّبع، أخطر الشريف سعد والي مصر الذي أخطر بدوره الباب العالي فصدر الأمر السلطاني بالموافقة على تعيين الشريف سعد في الإمارة، وبعد القرار تنكر الأمير سعد لاتفاقه مع الشريف حمود الذي أعلن عصيانه وخروجه عن طاعة الشريف سعد، ورحل من مكة إلى ينبع حيث ظل هناك، وأرسل ابنه أبا القاسم إلى والي مصر بذلك للتدخل لحل الأزمة.

فور علم والي مصر أرسل مبعوثا لتقصي الحقائق، لكن المبعوث أشيع قتله على يد أتباع الشريف حمود، مما دفع والي مصر لإرسال حملة عسكرية صغيرة مكونة من خمسمائة جندي لدعم موقف الشريف سعد، إلا أن حمود جمع عددًا كثيرًا من عرب جهينة، وهاجم الحملة المصرية عند ينبع وتمكنت قواته من القضاء على الحملة المصرية عام ١٦٦٧م.

كان لهذه المعركة أثر كبير ليس على مصر فحسب بل على الحجاز من غلاء للأقوات والغلال، وبدأت أزمة غذائية حادة في مكة والمدينة، أما مصر فالتهبت نيران الغضب عند أمرائها، وقرر الوالي إرسال حملة ضخمة فورًا على رأسها ثلاثة صناجق وقوة بحرية وفور وصول الحملة فرَّ الشريف حمود ليلاً، ولم تكن هذه نهاية الصراع بين الأشراف بل استمر وزادت وتيرته، وكانت مصر دائما هي التي تتحمل أمن مكة والمدينة وجدة وحماية المشاعر المقدسة والحجاج.

نجحت مصر في إنهاء الصراع بالقوة بعد فشل المفاوضات، لكن لم يقتصر دورها على إرسال الحملات لتأمين الحجاز وتأديب الخارجين على السلطة فقط، بل تعددت أدوارها التي كان أهمها الدور الاجتماعي والإنساني المتمثل في إرسال الغلال والأقوات، والأموال المخصصة للحرمين والموقوفة للحجاج، وإعادة إعمار البلاد المقدسة، كلما تعرضت للأخطار والكوارث الطبيعية، أو الاعتداء البشري المتعمد.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث يسبقهم مبحث تمهيدي، بعنوان: حكم الأشراف للحجاز، وجاء المبحث الأول بعنوان: دور مصر في صراع الأشراف قبل أزمة الشريف حمود والشريف سعد، تناولت فيه صراع الأشراف في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري وأسبابه والدور المصري في هذا الصراع، كما تناولت الوجود العسكري والسياسي لمصر في الحجاز. والمبحث الثاني: أهتم بعرض دور مصر في الصراع بين الشريف حمود والشريف سعد بداية من سنة١٠٧٧هـ/١٦٦٦م، سواء كان هذا الدور عسكريًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا وإنسانيًا، وتناولت في المبحث الرابع: دور

مصر والدولة العثمانية في زيادة هذا الصراع، تناولت فيه مسئولية الدولة العثمانية ممثلة في الوالي المصري من إزكاء الصراع بين أشراف مكة، وختمت البحث بأهم النتائج المستخلصة.

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التأريخي التحليلي للأحداث ونقدها، مع الاعتماد على المصادر الأولية لهذه الأحداث من مخطوطات ومصادر أصيلة، ومراجع ورسائل جامعية، ودوريات علمية، أثْرت البحث وأضافة إليه الكثير، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم.

المبحث التمهيدي

حكم الأشراف للحجاز[1]

أولًا: لمحة جغرافية:

لا شك أن الإلمام بجغرافية الإقليم يسهم في معرفة أهمية الموقع وحدوده السياسية، وموارده الاقتصادية والنشاط السكاني، لذا يقع الحجاز في الجهة الشمالية الغربية للجزيرة العربية بين خطي عرض ١٦، ٣٠ شمالي خط الإستواء، وبين خطي طول ٣٤ و ٤٢ شرقي جرينتش[2]، وليس هناك تطابق بين التحديد الجغرافي للإقليم وحدوده الإدارية وبخاصة في العصر الحديث، فعلى الرغم من أن كلمة الحجاز كانت تطلق قديما على السروات الممتدة من "آيلة العقبة" في الشمال حتى قرية طلحة في أرض اليمن، إلا أن التقسيم الإداري في هذه الفترة قد جعل الإقليم قاصرا على المنطقة التي تمتد من "معان" مارا بخليج العقبة إلى نقطة بين "الليث"و "والقنفذة" على شاطئ البحر الأحمر، هذا من حيث موقعه بين الشمال والجنوب بغض النظر عن التبعية السياسية، أما من حيث حدوده الشرقية فلكونها هضبة ممتدة داخل شبه

---

(١) اتفق أغلب الكتاب منذ أقدم العصور على تعريف الحجاز بالحاجز في اللغة أي المانع، وحجزه أي منعه وصده، ويسمى الحجاز حجازًا لأنه فصل بين الغور والشام، وبين تهامة ونجد، ولعل ذلك يرجع إلى ما ذكره بعض أصحاب السِّير، انظر: الفوزان، إبراهيم فوزان، **إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة**، (الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ص ١٤- ١٥.

(٢) الفوزان، إبراهيم، **إقليم الحجاز**، ص١٥. البلادي، عاتق بن غيث: **معجم معالم الحجاز**، ط٢، (الرياض، دار مكة ١٤٣١هـ)، جـ١، ص١٠. وهبة، حافظ، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ط١، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)، ص١٤.

الجزيرة فتحددها في أغلب الفترات ظروف سياسية تحيط بالإقليم وعلاقته بالقوى السياسية بالمنطقة، ولعل ما يميز الحجاز ويعطيه ثقل وأهمية دينية وسياسية هو وجود مكة المكرمة والمدينة المنورة داخل حدوده(١).

ينقسم الحجاز إلى الأقسام الطبيعية التالية:

- **منخفض تهامة الحجاز**، ويمتد على طول الساحل من الشمال إلى الجنوب، بطول قدره ١١٠٠كم، وعرضه يختلف من منطقة إلى أخري، فيبلغ اتساعه عند ميناء جدة من ستين إلى سبعين كم" وقد يبلغ منتهاه في الضيق حتى تلاحق المرتفعات شاطئ البحر عند قريتا المويلح الساحلية وشمال ميناء "ينبع" وهي ليست عبارة عن المنطقة الساحلية فحسب، بل إنها تشمل أكثر المنطقة الواقعة إلى المنحدر الغربي لسفوح الجبال، ويقع في هذا القسم أهم المواني التي تربط الحجاز بخارجها، وهي من الجنوب إلي الشمال: القنفده، الليث، جدة، رابغ، ينبع، أملح، الوجه، ضبا، المويلح، حقل أو العقبة(٢).

- **المنطقة الجبلية**: وتمتد من الشمال إلى الجنوب محاذية لمنطقة تهامة الساحلية بمساحة عرضها من الغرب إلى الشرق ٣٣٢كم، تتخللها الجبال على شكل سلاسل تتوازى، وتتقاطع أحياناً أخري، وتخترقها الوديان الطويلة من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب(٣).

---

(١) الصبحي، إبراهيم محمد، **الحجاز في القرن السابع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة**، (مصر، كلية الآداب جامعة طنطا،١٩٩١م)، ص ص٨-٩.

(٢) الفوزان، إبراهيم، **إقليم الحجاز، المرجع السابق**، ص٢٠، البلادي، عاتق بن غيث، **معجم معالم الحجاز**، ص١٠.

(٣)الفوزان، إبراهيم، **إقليم الحجاز**، ص ٢٠، وانظر: البلادي، عاتق بن غيث، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٠.

تتفاوت درجات حرارة ورطوبة طقس الحجاز تفاوتًا كبيرًا نظرًا لامتداده من الجنوب إلى الشمال، فمن المعروف والثابت أن الطود والطائف وما شاكلهما يعتدل الجو فيها صيفًا، بينما تشتد الحرارة في السواحل وجبال تهامة، وفي الشمال تنخفض درجات الحرارة لبعد تلك المناطق عن مدار الشمس، والصيف في كل من تبوك والحجر قصير، والشتاء طويل قارس البرودة، وكميات الأمطار في الحجاز تختلف من منطقة إلى أخري، بل إنها في بعض المناطق تعتبر نادرة، لا يمكن أن تقوم عليها الزراعة وتعتبر مناطق قاحلة(١).

ثانيًا: الأشراف(٢) وحكم الحجاز.

خضع الحجاز لحكم الأشراف منذ عام (٣٤٥هـ/٩٥١م(٣)) منتصف القرن الرابع الهجري، عندما تولى أبو محمد جعفر الموسوي (مؤسس العائلة الشريفة الأولى)، واقتصر على الأشراف الحسينيين في البداية، لكن نافسهم في

---

(١) كحالة، عمر رضا، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ط١، (دمشق، مطبعة الترقي ١٣٦٤هـ - ١٩٢٥م)، ص٣٧.

(٢) الأشراف مفردها شريف وهي تعني العلو، وأطلق لقب الأشراف على أحفاد الحسن والحسين منذ بداية الدولة الفاطمية في مصر(٩١٠هـ) وفي العصر المملوكي كان يضع الأشراف على رؤوسهم عمامة أو علامة خضراء، وقد حظى الأشراف بمكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي على مر العصور. انظر: أوزون، إسماعيل حقي، **أمراء مكة في العهد العثماني**، ترجمة : خليل مراد،ط١، (البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥م)، ص ص١٥-١٦.

(٣) عام (٣٤٥هـ/٩٥١م) هو العام الذي تم فيه إعادة الحجر الأسود إلى موقعه بجوار الكعبة، بعد أن كان القرامطة قد أخذوه إلى البحرين عندما احتلوا مكة. انظر، دحلان، أحمد الزيني، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، (مطبعة الكليات الأزهرية، مصر١٣٠٥هـ)، ص١١.

هـذا المنصـب الأشـراف الحسـنيين ودار صـراع بيـنهم حتـى عـام (٥٩٨هـ/١٢٠٢م)، انتهى بغلبة كفة الأشراف الحسنيين، ومنذ ذلك التـاريخ ظل الأشراف يحكمون الحجاز إلا أنه دار صراع مرير حول منصب الشرافة بين ثلاث أُسر، هي الأسرة الموسوية (بني موسى)، والأسرة السليمانية (بنـي سليمان)، والأسرة الهاشمية[١]، والأخيرة هذه تمتعت بشبه استقلال في الحجاز في القرن الحادي عشر الميلادي على عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بـالله، وكان هؤلاء الأمراء من الأشراف يتَّبعـون سياسـة قوامهـا المهادنـة مـع الحكومات القوية التي عاصروها في بغداد ثم في القاهرة[٢]، وفي أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ظهرت أسرة رابعة هي الأسرة الإدريسـية ومؤسسـها الشريف قتادة بن إدريس، وقد تداول أبناؤه وأحفاده الحكم طوال قرنين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) والربع الأول من القرن الخامس عشر، إلى أن استطاع فرع من الأسرة الإدريسية وهو بيت بركات بن حسـين أو بركـات الأول أن يتولى حكم مكة (٨٢٩-٨٥٩هـ/١٤٢٢-١٤٥٢م) ثم ما لبث حفيده

(١) العاصمي، عبد الملك حسين عبد الملك المكي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، (بيـروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ص ص٤٠٨-٤١٤. وانظر، أوزون، إسـماعيل حقي، **أمراء مكة في العهد العثماني**، ص ص٤-٦. وانظر: مالكي، سليمان عبد الغنـي، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية من منتصـف القـرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري**، (مصر، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة القاهرة١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ص٣١-٣٢.

(٢) باوزير، سعيد عوض، **معالم تاريخ الجزيرة العربية**، ط٢، (عدن، مؤسسـة الصـبان وشركائه، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م)، ص ١٢٢.

بركات بن محمد بن بركات (أمير مكة) أن اعترف بالسيادة العثمانية على الحجاز(٩٢٣هـ/١٥١٧م)[١].

بدخول الحجاز تحت الحكم العثماني ازداد منصب الشرافة قوة وازدهارا حينما كانت الدولة العثمانية قوية، فقد تولى إمارة مكة في هذه الفترة الشريف أبو نمى بن بركات ٩٣٣هـ، الذي اهتم بأمر الأشراف ومركز الشرافة، حيث كانت الدولة العثمانية في هذه الفترة لا تتدخل في شئون الحجاز ومكة قبل القرن السابع عشر الميلادي، حينها تمكن أبو نمى من وضع قانون للأشراف عرف باسم قانون أبي نمى[٢]، أعطى هذا القانون للأشراف سلطة قوية على الحجاز، اتصف هذا القانون كما ورد في بعض المصادر بالشدة والبعد عن العدل والإنصاف، فقد جعل القانون الإمارة وراثية في الأسرة الهاشمية، وحرّمت على الأشراف الاشتغال بأية مهنة أو صناعة، وجعلت من الأشراف طبقة ممتازة لها حقوق لا يجب أن يمارسها العامة، وكذلك حرَّم على الرعية التطاول على الأشراف[٣]، وبعد وفاة أبي نمى ٩٩٢هـ/١٥٨٤م تعاقب من

(١) أنيس، محمد: **الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤م**، ط١، (القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٧م)، ص١٢٥. وانظر: دحلان، الزيني، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**،مرجع سابق، ص٥٠.

(٢) للمزيد عن القانون انظر: نصيف، حسين بن محمد، **ماضي الحجاز وحاضره، الحسين – علي**، ط١، (القاهرة، مكتبة ومطبعة خضر١٣٤٩هـ)، ج١، ص١٧.

(٣)العاصمي، عبد الملك حسين عبد الملك المكي، **سمط النجوم العوالي، مرجع سابق**، ج٤، ص ص٢٨٩-٣٠٩.وانظر: السباعي، أحمد، **تاريخ مكة**، ط٤، (المملكة السعودية، دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٣٤٦. الخفاجي، وانظر: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، **ريحانة الألبّاب وزهرة الحياة الدنيا**، ط١، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، (القاهرة، دار عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م)، ج١، ص٣٨٤.

نسله ثلاث عائلات، تنافسوا على الشرافة أولهم عائلة ذوي بركات التي سيطرت على حكم مكة حتى ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م، تلتها في الحكم عائلة ذوي زيد وظل المنصب يتنقل بين العائلتين حتى استقل بالأمر آل زيد(١).

ويبدو أن الدافع على التنافس على منصب الشرافة هو ما يدرُّه هذا المنصب على صاحبه من المكاسب المادية(٢) والأدبية، ومن هنا ظهر الصراع على المنصب في القرن السابع عشر الميلادي الحادي عشر الهجري، فمن قبل ذلك كانت القاعدة الأساسية في تعيين الشريف هي انتخابه واختياره أولًا من قبل جموع الأشراف أنفسهم، ويؤكد هذا الاختيار صدور الأمر السلطاني بتأييده، لكن هذه القاعدة لم تعد تُحترم بدخول القرن الحادي عشر(٣)، وهذا ما ستوضحه الصفحات القادمة.

---

(١) حمزة، فؤاد، **قلب الجزيرة**، (الرياض، مكتبة النصر الحديث، ١٣٨٨ه-١٩٦٨م)، ص ص٣٠٧-٣١١. وانظر: عبد الرحمن، عبد الرحيم عبد الرحيم، **تاريخ الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥م-١٨١٨م**، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩م)، ص١٣١.

(٢) كانت أهم مصادر الدخل لأشراف مكة، باستثناء الرسوم التي يدفعها الحجاج، الذين لا حامي لهم، ومن بينهم قسم كبير من حجاج الشرق الأقصى، وحجاج شرق الجزيرة العربية(القطيف والأحساء) بالإضافة إلى حجاج اليمن، إضافة إلى ربع محتويات السفن الغارقة، وثلث الهدايا القادمة للمكيين. كذلك الضرائب غير المباشرة، وكانت تقدر بعشر البضائع المستوردة، وقد أدت الابتزازات المالية التي تتعرض لها السفن في جدة إلى تجنب الرسو فيها، وغير ذلك من الأموال والمخصصات المرسلة من مصر واسطنبول. انظر: ك، سنوك هورخرونية، **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ترجمة: علي عودة الشيخ، (الرياض، دارة الملك عبد العزيز١٤١٩هـ)، ج١، ص ص١٩٣-١٩٤.

(٣) أنيس، محمد، المرجع السابق، ص ص١٢٨-١٢٩. وانظر، عبد الرحمن، عبد الرحيم عبد الرحيم: **تاريخ الدولة السعودية الأولى، المرجع السابق**، ص ١٢٩.

المبحث الأول

دور مصر في صراع الأشراف قبل أزمة الشريف حمود[١] والشريف سعد

أولًا: بداية الصراع وشكاله ودور مصر فيه:

شغل منصب الشرافة في بداية القرن الحادي عشر الهجري، الشريف حسن بن أبي نمى الذي حكم في الفترة من ٩٩١هـ -١٠١٠هـ/١٠٨٤-١٦٠١م، وهو الذي بنى دار السعادة التي أصبحت مقراً للشرافة لكل من يتولي أمرها من آل زيد وقد امتازت فترة حكمه بالاستقرار وانتشار الأمن في الطرقات، حتى أمِن الناس على أموالهم وأرواحهم، ومهد طرق الحرمين، وقضى على السرقات والنهب والقتل، ورتَّب الحراسة[٢].

اعتبر المؤرخون نهاية فترة الشريف حسن بن أبي نمى بدايةً لتدهور حكم الأشراف، وسقوطهم في فخ الصراع[٣]، بسبب طلبه وهو في حياته من

---

(١) حمود بن عبد الله(١٠٨٥هـ-١٦٧٤م): حمود بن عبد الله بن الحسن بن أبي نمى، رأس الأشراف بني حسن وفارسهم في عصره، اختصه أمير مكة زيد بن محسن وزوجه بنته وألقى إليه مهمات الحجاز باديته وحواضره، ولما توفى زيد في سنة ١٠٧٧ه تقدم حمود للإمارة فنازعه عليها سعد بن زيد وفاز بها بعد صراع. انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط١٥، (بيروت، دار العلم للملايين،٢٠٠٢م)، ج٢، ص٥٠٢.

(٢) دحلان، أحمد الزيني، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، مرجع سابق، ص٦٠، انظر، المحبي، محمد أمين، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ط١، (بيروت، دار صادر بدون)، ج٢، ص ص٢-١٤.

(٣) الطبري المكي، محمد بن علي بن فضل بن عبد الله، **إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، (مخطوط بمكتبة المخطوطات بدار الكتب المصرية بباب الخلق، وهي جزءان، برقم ٢٢٠٦تاريخ تيمور، ج٢، ص ٦.

أمراء الحج أن يُلبسوا ابنه الشريف أبا طالب أمور الشرافة وقد تولى الشريف أبو طالب أمر الشرافة نيابة عن أبيه فترة من الزمن وبعد أن ألبسه أمراء الحج خلعه الشرافة، تم انتخابه من قِبل الأشراف،كانت هذه الحادثة بدايةً لمخالفة نظام الشرافة، فقد كان من المتعارف عليه أن يتم اختيار الشريف من قِبل الأشراف أولًا، وليس من قِبل أمراء الحج كما حدث، والمقصود بأمراء الحج هو أمير الحج المصري بحكم أن والي مصر(علي باشا السلحدار١٠١٠هـ-١٠١٢هـ) هو المخول من قبل السلطان العثماني لمتابعة وإدارة شئون الحجاز ككل، ويتْبعه أمير حج الشام وباقي جهات العالم الإسلامي[١].

وصدَّق السلطان العثماني على هذا الاختيار بالموافقة، على أن تُصرف المستحقات لأصحابها والالتزام بحسن التصرف، وظل الشريف أبو طالب يمارس سلطاته حتى توفي في ١٠ جمادي الآخرة ١٠١٣هـ /١٥نوفمبر ١٦٠٣م[٢]، فاختار الأشراف أخاه الشريف إدريس بإجماع آرائهم لتولي هذا المنصب، لكنهم أحدثوا أمراً جديداً أدى إلى إضعاف شأن هذا المنصب أكثر وزاد من الصراع عليه بينهم؛ وذلك أنهم أشركوا معه أخاه الشريف فهيد بن حسن، وابن أخيه الشريف محسن بن الحسين بن حسن، وأرسلوا إلى الدولة العثمانية من خلال والي مصر(كورجي محمد باشا ١٠١٣- ١٠١٤هـ) باختيارهم لهؤلاء الثلاثة للحكم بالمشاركة، فجاءت الموافقة على هذا الاختيار

(١)الطبري المكي، **إتحاف فضلاء الزمن**، المصدر السابق، ج ٢، ص٣، وعن ترجمة الشريف أبي طالب، انظر، المحبي، محمد أمين، **خلاصة الأثر**، **المصدر السابق**، ج١، ص ص ١٣-١٣.

(٢)أحمد بن زيني دحلان، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، ص٦٢.

وعلى الاشتراك في منصب الشرافة مع علمها بما تجره هذه الشراكة من صراع من ناحية، ومن إضعاف شرافة مكة من ناحية أخري، وربما استغلت الدولة العثمانية ذلك فيما بعد وزادت فيه(١).

وما كاد الأمر يستقر للشركاء حتى حدث صراع بين الشريف إدريس وأخيه الشريف فهيد، حول ما كان يفعله عُبَيْد "رجل الشريف فهيد"، وأتباع الشريف فهيد من مخالفات، وكذلك حول رغبة الشريف إدريس تعيين مفتٍ من أتباعه، ولذا فإنه تم التحالف بين الشريف إدريس وابن أخيه الشريف محسن بعد استدعائه إلى مكة بعد ما خرج مغاضبا لعمه الشريف إدريس، فجاء إلى مكة وتحالف مع عمه الشريف محسن فخرج الشريف فهيد مع أمير الحج المصري، بعد أن تدخل لإنهاء الأزمة، ونجح في ذلك، ومن مصر توجه فهيد إلى استانبول حيث توفى هناك سنة١٠٢٠هـ/١٦١١م(٢).

وما كان لأمور الشرافة أن تستقر وبها شريفان شريكان، فسرعان ما دب النزاع بين الشريف إدريس والشريف محسن، فاجتمع أهل الحِل والعقد من بني عمه السادة الأشراف والعلماء والفقهاء والأعيان سنة ١٠٣٤هـ/١٦٢٥م، ورفعوا الشريف إدريس عن ولاية الحجاز وفوضوا الأمر إلى الشريف

---

(١) الطبري المكي، محمد بن علي، **إتحاف فضلاء الزمن**، ج٢، ص٩، المحبي، محمد أمين، **نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة**، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، (القاهرة، مطبعة الحلبي ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج٤، ص٧.

(٢) الطبري المكي، محمد بن علي بن فضل بن عبد الله، **إتحاف فضلاء الزمن**، **المصدر السابق**، ج ٢، ص٩، انظر : المحيي، محمد أمين، **نفحة الريحانة**، **المصدر السابق**، جـ ٣، ص٣٨٨.

محسن، لكن الشريف إدريس عارض ذلك، ودارت بين الطرفين معارك انتصر فيها الشريف محسن وغُلِب الشريف إدريس على أمره، وأُعطي مهلة ستة أشهر ليُنهي أموره ويذهب أنى شاء، لكنه توفى قبل أن يخرج من مكة في ١٧جمادى الآخرة ١٠٣٤هـ/٢٧مارس١٦٣٥م، فأرسل الشريف محسن إلى السلطان العثماني رسالة أخبره فيها بواقع ما حدث فأقره على ما فعل، وعينه شريفا على مكة في رمضان من العام نفسه، وظل الشريف محسن يُدير أمور مكة بحكمة واقتدار، ولكنه وسرعان ما حدث ما كان يتوقعه الشريف محسن، فقد خرج عليه السيد مسعود بن إدريس والسيد أحمد بن عبد المطلب(١).

واستطاع السيد مسعود بن إدريس أن يستميل إلى جانبه الأشراف، وأتى أحمد بن عبد المطلب بعساكر باشا اليمن من جدة، وبدأت المعارك مع قوات الشريف محسن الذي سرعان ما رأى ميل الأشراف عنه، فتوجه مع بعض أتباعه إلى اليمن حيث توفي في صنعاء ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م، وتوالت الأحداث بعد ذلك فدخل الشريف أحمد بن عبد المطلب مكة يوم الأحد ١٧رمضان ١٠٣٧هـ/٢١مايو١٦٢٨م، ولاذ بالفرار من كان فيها من جماعة الشريف محسن وكانت فترة الشريف أحمد بن عبد المطلب مليئة بالقتل والتنكيل والتشريد ولم يف للشريف مسعود بن إدريس بما اتُّفِق عليه، ولم يجعله شريكا له في الحكم بعد النصر على الشريف محسن، لذا فإن الصراع على شرافة مكة استمر، دون التدخل من طرف مصر والدولة العثمانية صاحبة السيادة

(١)أحمد بني زيني دحلان، **خلاصة الكلام، المرجع السابق**، ص ص٦٤ – ٦٨. وانظر، الطبري المكي، **إتحاف فضلاء الزمن، المصدر السابق**،ج٢، ص ١٥.

على الحجاز، حيث أصبحت تُولِّي على شرافة مكة المنتصر في كل فترة من فترات الصراع، أو تولِّي شريكين معًا ليزداد الصراع بينهما "تأجّجًا"(١).

بعد انفراد الشريف أحمد بن عبد المطلب بالأمر، استعان الشريف مسعود بن إدريس بقانصوه باشا والي اليمن لمساعدته في الاستيلاء على شرافة مكة، وكان ولاة اليمن كثيراً ما يُحرِّكون أحداث مكة، سواء أثناء ذهابهم إلى اليمن أو العودة منها، لذا فإن قانصوه باشا دبَّر تدبيرًا استطاع به أن يقتل الشريف أحمد بن عبد المطلب، بعد أن استضافة في خيمته ليلة ١٥صفر١٠٣٩هـ/٤أكتوبر١٦٢٩م، وخلَع ولاية مكة على الشريف مسعود بن إدريس، دون أخذ رأي السادة الأشراف في هذا التعيين، لكن مقام الحُكم لم يطل بالشريف مسعود فقد توفي في ٢٠ربيع الثاني١٠٤٠هـ/ ٢٦نوفمبر١٦٣٠م(٢)، فاجتمع السادة الأشراف ووقع اختيارهم على الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمى وأرسلوا للدولة العثمانية باختيارهم هذا، فجاء الأمر بالموافقة عليه، لكن الشريف عبد الله رغم الاجتماع على اختياره من قبل السادة الأشراف، تنازل عن الشرافة لابنه محمد بعد أن حج بالناس ١٠٤٠هـ/١٦٣١م، على أن يكون زيد بن محسن شريكًا له، وأرسل إلى اليمن بطلب زيد بن محسن، وأيد والي

(١) دحلان، أحمد الزيني، **خلاصة الكلام، المرجع السابق**، ص٧٠، وانظر، الطبري المكي، **إتحاف فضلاء الزمن، المصدرالسابق**، ج٢، ص ١٦.

(٢)الطبري المكي، **إتحاف فضلاء الزمن، المصدر السابق**، ج٢، ص ١٨، دحلان، أحمد الزيني، **المرجع السابق**، ص٧١، وانظر: السباعي، أحمد، **تاريخ مكة، المرجع السابق**، ص٣٦٤.

مصر(موسى باشا١٠٤٠هـ) ذلك، ووافقت الدولة العثمانية على تعيين الشريفين ولبِسا خُلعتين في ٧جمادي الأولي ١٠٤١هـ/١ديسمبر١٦٣١م[١].

حدث أثناء ذلك عصيان من قبل عسكر والي اليمن واتجهوا شمالًا إلى القنفذة، فاستغل الشريف نامي بن عبد المطلب بن حسن هؤلاء العسكر، وطلب منهم مساعدته في الاستيلاء على مكة، وكتبوا للشريف محمد بن عبد الله السماح لهم بدخول مكة، فأدرك الشريف محمد بن عبد الله غرضهم، ورفض السماح لهم بذلك، وخرج الشريف محمد وشريكه زيد بن محسن ومعهما العساكر المصرية والأشراف إلى "قوز أسفل مكة" والتقوا مع الشريف نامي وجماعته من عسكر اليمن في ٢٠شعبان١٠٤١هـ/١٣مارس فكانت النتيجة أن قُتل الشريف محمد بن عبد الله وجماعة من الأشراف، وتوجه من نجوا ومعهم الشريف زيد إلى وادي الظهران، ودخل الشريف نامي ومعه عسكر اليمن مكة، ونودي به شريفًا على مكة، على أن يكون شريكا له الشريف عبد العزيز بن إدريس بن حسن بشرط عدم الدعاء له على المنبر[٢].

عاث العسكر فسادا في مكة، كما قام الشريف نامي بمصادرة أموال بعض تجارها، وقُتِل مصطفى بك قائد عسكر الشريف محمد بن عبد الله، وفرَّ بقية عسكره إلى جدة وسواكن[٣]. وفي الوقت نفسه كاتب الشريف زيد بن محسن والي مصر(خليل باشا١٠٤١-١٠٤٢هـ)، وطلب نجدته لاستعادة شرافة مكة،

---

(١)الطبري المكي، **إتحاف فضلاء الزمن، المصدر السابق**،ج٢، ص٢١.

(٢)دحلان، أحمد الزيني، **خلاصة الكلام، المرجع السابق**، ص٧٣.

(٣)السباعي، أحمد، **تاريخ مكة،المرجع السابق**، ص ٣٦٨، وانظر، دحلان، أحمد الزيني، **خلاصة الكلام، المرجع السابق**، ص ٧٣.

فأرسل والي مصر حملة مكونة من ثلاثة آلاف عسكري وخمسة سناجق، وقبطان السويس، وأرسل للشريف زيد بن محسن أن يقابل الحملة في ينبع ففعل، ولاقى الحملة وساروا صوب مكة إلى أن وصلوا الجموم[١]إلا أن خبر الحملة سبقها إلى مكة، فأرسل الشريف نامي ثلاثين هجاناً ليأتوا له بمعلومات كافية عنها، لكن رجال الحملة شعروا بتحركات هؤلاء الجواسيس، فطاردتهم الخيل وقتلوا منهم ثمانية عشر، وفرَّ الباقون، وتأكد للشريف نامي مجئ الحملة، فخرج بمن معه من مكة في ٤ذي الحجة١٠٤١هـ/٢٢يونيه١٦٣١م، طالبين تربة[٢]، لكن الشريف عبد العزيز بن إدريس افترق في الطريق، وسار إلى ينبع[٣]، أما الشريف نامي بن عبد المطلب ومن معه فتحصنوا في تربة وأصبحت مكة خالية[٤].

دخل الشريف زيد بن محسن ومعه الحملة المصرية مكة، ونودي به شريفا على مكة وعمَّ الأمان، ثم خرج ومعه العسكر وحاصروا تربة وألقوا

---

(١)الجموم: قاعد قوادي فاطمة تتبعها مجموعة قرى وإمارتها تابعة لإمارة مكة المكرمة، انظر: الجاسر، حمد، **المعجم الجغرافي (معجم مختصر)**، (الرياض، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج١، ص٢٦٤.

(٢) تربة، بلدتو معروفة في واد بهذا الاسم، بتبعها عدد من القرى وتأهيل البادية بمنطقة إمارة مكة المكرمة، انظر : الجاسر، حمد، **المرجع السابق، (معجم مختصر)** ج١، ص ٣١٥.

(٣) ينبع، إذا ذكرت ينبع مجردة فيقصد بها بنبع النخل، وهي منطقة فيها قري كثيرة سكانها من جهينة وحرب فيها إمارة تابعة لإمارة المدينة المنورة، انظر: الجاسر، حمد، **المرجع السابق، (معجم مختصر)** ج٣، ص ١٥٥٨ – ١٥٥٩.

(٤) الطبري المكي، **إتحاف فضلاء الزمن، المرجع السابق**،ج٢، ص ٢٩.

القبض على الشريف نامي وأخيه سيد، وعادوا بهما إلى مكة، فدخلوها في ١٧محرم١٠٤٢هـ/٤ أغسطس١٦٣٢م، واستفتوا العلماء بشأنهم، فأفتوا بقتلهم، فشنقوا الشريف نامي بن عبد المطلب وأخاه سيد، وقتلوا كور محمود، وصفى المنصب للشريف زيد، وضَبَطَ الأمور وأمّن أحوال الناس، كما استطاع أن يُؤمِّن السبل، وأن يُقِيم العدل، وجاءت موافقة الدولة على تولية منصب الشرافة، وفي هذه الفترة لعبت مصر دورًا كبيرًا في إعادة النظام لمكة وحمايتها من طغيان وفساد عسكر اليمن، وظل زيد يحكم بمفرده، حتى توفي الثلاثاء ٣محرم١٠٧٧ هـ/٦يوليو ١٦٦٦م(١).

ثانيا: الدور المصري ووسائله في صراع الأشراف في الحجاز.

منذ أن دخل الإسلام مصر وأصبحت جزء من الدولة الإسلامية فهي والحجاز يخضعان لحكم دولة واحدة، منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرورا بالدولة الأموية، ثم العباسية. وعندما انتقل الفاطميون إلى مصر ٣٥٨هـ/٩٦٩م، تطلعت نفوسهم لمد سيادتهم على الحجاز، لمكانته لدى المسلمين، فعملوا على الإغداق على الأشراف، الذين دعوا لهم على المنابر وفي المشاعر المقدسة، لذا فمنذ عهد الدولة الفاطمية أصبح الحجاز يدور في فلك الدولة القائمة في مصر، حيث اعتمد عليها في إمداده بأغلب احتياجاته من غذاء وخلافه، خاصة الأوقاف المصرية الضخمة المحبوسة على الحرمين وفقراء مكة والحُجاج من كافة أنحاء الأرض، واستمر ذلك وزاد في عصر

(١) دحلان، أحمد الزيني، **خلاصة الكلام، المرجع السابق**، ص٧٩. وانظر، الطبري المكي، **إتحاف فضلاء الزمن، المرجع السابق**،ج٢، ص ٧٠.

الأيوبيين والمماليك؛ خاصة للدفاع عن الحجاز وحمايته من المعتدين، بالإضافة إلى أعمال العمران والتطور الحضاري في عهد هذه الدول(١).

وبعد خضوع مصر للحكم العثماني حرصت الدولة العثمانية أشد الحرص على إقرار الأمن في الحرمين الشريفين تأكيدا لسلطتها الاعتبارية والسياسية في العالم الإسلامي بأسره فكان على العثمانيين أن يوفروا حماية للحرمين من أي عدوان خارجي، وأن يواجهوا العديد من عناصر الإخلال بالأمن التي كانت دوما تهدد سيادتهم عليه، وقد أسندت الدولة العثمانية إلى والي مصر مسؤولية الدفاع عن الحجاز على أساس أن الحجاز من وجهة النظر السياسية والعسكرية يعد ضمن دائرة اختصاصه(٢).

وحيث كانت مصر – بحكم موقعها الاستراتيجي والجغرافي بالنسبة للحجاز – هي الأقدر على إرسال الحملات العسكرية العثمانية التي تهدف إلى الدفاع عن أمن الحرمين، وإقرار الشرعية بمساندة شريف ضد آخر(٣)، ولضمان السيطرة على مقاليد الأمور السياسية دَعَت الحاجة إلى وجود قوات عسكرية مصرية في مدن الحجاز الكبرى، بالإضافة إلى طرق الحاج المصري، ومن أهم الحاميات العسكرية المصرية في الحجاز:

---

(١) عبد المعطي، حسام محمد، **العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م)، ص١٧.

(٢) هريدي، محمد عبد اللطيف، **شئون الحرمين الشريفين في العصر العثماني**، (القاهرة، دار الزهراء للنشر، ١٩٨٩م)، ص١٧. وانظر: حراز، السيد رجب، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠١٩٠٩م، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م)، ص٩٩.

(٣)السباعي، أحمد، **تاريخ مكة، المرجع السابق**، ص٦٤.

- الحامية العسكرية المصرية في مكة المكرمة: لم تكن بمكة قبل القرن التاسع عشر قلعة عسكرية لاستقرار القوات بها لذا اكتفت مصر بإرسال طائفة من العسكر المتفرقة، والبلوكات، أطلق عليهم طائفة عسكر مكة، وفرضت لهم رواتب قدرها ٥٤٢١ بارة(١).

- الحامية العسكرية المصرية في المدينة المنورة: تعد أهم حامية في الحجاز لنقل مركز القيادة العسكرية إليها لتأمين المدينة المنورة من الأخطار، وكانت تتكون من خمسين نفر من الفرسان والرماه، انضم إليهم فرق من الإنكشارية فيما بعد، وهي أول حامية للمدينة المنورة، حيث أنشأت في ٩٣٩هـ/١٥٣٢م في عصر السلطان سليمان القانوني(٢).

- الحامية العسكرية المصرية في جدة: أُنشأت أول حامية مصرية في جدة عام٩٢٤/١٥١٧م كان قوامها مائتين وخمسين جندي، ثم ازداد العدد إلى خمسمائة جندي يُرسلون من مصر بصفة منتظمة كل عام(٣).

---

(١) فهيم، محمد علي، **دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني في الفترة من ٩٢٣-١٢٢٠ه/١٥١٧-١٨٠٥م**، (مصر، رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر،٢٠٠٣م)، ص٥٨.

(٢) فريد، محمد، **تاريخ الدولة العليةالعثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، ط١، (بيروت،دار النفائس١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص١٩٨. وانظر: البدر، عبد الباسط، **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**، ط١، (المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج٢، ص٣٣٥.

(٣) رفعت، إبراهيم باشا، **مرآة الحرمين و الرحلات الحجازية والحج ومشاعره**، ط١، (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م)، ج١، ص ٢٣٥. وانظر: فهيم، محمد علي، **دور مصر في الحياة العلمية، المرجع السابق**، ص ص٥٨-٥٩.

- الحامية العسكرية المصرية في ينبع: كانت توجد في القلعة، ومهمتها المحافظة على الأمن الداخلي، وحماية الغلال والأقوات التي تأتي الحجاز قاصدة المدينة(١).

- الحامية العسكرية المصرية في المويلح: أنشأت عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م بدأتها مصر بمائة وخمسين جنديًا وأنفقت على عساكرها رواتب كثيرة(٢).

- الحامية العسكرية المصرية في الأزلم: توجد في القلعة وهي لحراسة الحُجاج وتأمينهم، وحفظ ودائعهم الثمينة في خزائنها لحين إيابهم خاصة أنها في منتصف الطريق بين القاهرة ومكة المكرمة(٣).

- الحامية العسكرية المصرية في الوجه:كانت توجد في قلعة الوجه قوة عسكرية مصرية لتأمين المنطقة هناك(٤).

على الرغم من وجود هذه الحاميات العسكرية المصرية الثابتة، كانت الحاجة تقتضي ضرورة إرسال بعض التجريدات العسكرية المصرية مباشرة إلى الحجاز، وكان ذلك يتكرر كثيرًا حسب الأحوال السياسية للدفاع عن الحجاز، أو التدخل في الصراع الدائر بين الأشراف، ومن هذه التجريدات على سبيل المثال ما قام به والي مصر في الصراع بين الشريف زيد بن

---

(١) الموسوي، محمد بن عبد الله الحسيني بكبريت، **رحلة الشتاء والصيف**، ط١ (جدة، دار تهامة، ١٤١١هـ)، ص٢٢.

(٢) فهيم، محمد علي، **دور مصر في الحياة العلمية، المرجع السابق**، ص ص٦٢-٦٣.

(٣) الموسوي، محمد بن عبد الله الحسيني بكبريت، **رحلة الشتاء، المصدر السابق**، ص ص١٦-١٨، فهيم، محمد علي، **دور مصر في الحياة العلمية، المرجع السابق**، ص ص٦٣-٦٤.

(٤) فهيم، محمد علي، **دور مصر في الحياة العلمية، المرجع السابق**، ص ٦٥.

محسن والشريف نامي بن عبد الله، ومن أشهر هذه التجريدات تلك التي تدخلت بها مصر في الصراع بين الشريف حمود والشريف سعد بن زيد سنة١٠٧٧هـ/١٦٦٦م، وسيأتي الحديث عنها في المبحث القادم(١).

ولم يقتصر الدور المصري على الحاميات لحفظ الأمن، أو التجريدات لتأديب المعتدي وإعادة السلطة لأهلها، بل كانت مصر من أهم مصادر المساعدات الغذائية في أحلك الأوقات التي كانت تمر على الحجاز خاصة في فترات الصراع على الحكم، عندما كان العسكر يعيثون في البلاد فسادًا، ويسرقون أقوات العباد وتستباح الممتلكات، فكانت ترسل على الفور السفن المحملة بالمساعدات والغلال لتوزيعها بالمجان على عامة الناس في مكة والمدينة، بلإضافة إلى التكايا المصرية الموقوفة على المقدسات الإسلامية وحجاج بيت الله الحرام، ومخصصات الحرمين الشريفين، والأوقاف المصرية على بلاد الحجاز لا حصر لها والتي استمرت إلى القرن العشرين ميلاديًا، تمُد بلاد الحجاز بخيرات الأقطار المصرية، ومن هنا يتبين أن الدور المصري كدور اجتماعي وحضاري وإنساني يطغى على دورها السياسي والعسكري في الحجاز، والأمثلة على ذلك لا حصر لها ولا يتسع المجال للخوض فيها(٢).

---

(١)الطبري، المكي، **إتحاف فضلاء الزمن، المرجع السابق**،ج٢، ص ٢٩.

(٢) فهيم، محمد علي بيومي، **مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من ٩٢٣- ١٢٢٠هـ/١٥١٧- ١٨٠٥م**، (القاهرة، رسالة ماجستير جامعة الأزهر الشريف، كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ص ٣٠-٣٥.

المبحث الثاني

دور مصر في الصراع بين الشريف حمود والشريف سعد سنة١٠٧٧هـ/١٦٦٦م

بيَّنا في المبحث الأول جانبًا من صراع الأشراف في القرن الحادي عشر الهجري، حتى وفاة الشريف زيد بن محسن سنة١٠٧٧م، وبعد وفاته تم اختيار ابنه الشريف سعد بن زيد بن محسن(١٠٥٢-١١١٦هـ) ليكون شريفا على مكة، وجاءته موافقة الدولة العثمانية، لكن الأمر لم يصف له حيث نافسه اثنان من الأشراف على هذا المنصب(١).

أولهما: السيد حمود بن عبد الله، وكان اليبب في ذلك أن الشريف سعد لم يف بما رتبه له من المقررات والوعود، واستمرت الحرب بينهما حتى تم الاتفاق بينهما، على قدر معلوم وعينت جهاته، وارتفع بذلك الاتفاق اليأس الذي أحاط بالناس إلا أن الأمر تكرر بعدم وفاء الشريف سعد بما تم الاتفاق عليه، فخرج السيد حمود بن عبد الله ومن معه من الأشراف إلي ينبع(٢) كما سيتم توضيحه.

وثانيهما: أخوه محمد بن زيد الذي طلب " أن يكون له ربع مكة، ومشاركة أخيه في الدعاء على المنابر، فرفض الشريف سعد مطلبه، فخرج

---

(١) الطبري المكي، **اتحاف فضلاء الزمن، المرجع السابق**،ج٢، ص ٤٢.

(٢) دحلان، أحمد بن زيني، **خلاصة الكلام، المرجع السابق**، ص ٨٠، وانظر، السباعي، أحمد، **تاريخ مكة، المرجع السابق**، ص ٣٧.

السيد محمد بن سعد مغاضباً لأخيه، ولحق بالسيد حمود في ينبع، واتفقا على معارضة الشريف سعد بن زيد(١).

يرجع أصل الصراع إلى أن الشريف سعد جلس للتهنئة ودعا مشايخ العرب وأهل الإدراك وفعل ما تفعل الملوك، وامتدحه الشعراء بالقصائد، لكن في اليوم الثالث من جلوسه حصل اضطراب عظيم طوال اليوم بين الشريف سعد والشريف حمود الذي ادعى أحقيته بالشرافة، وكل منهما جمع جيوشه وتحصنوا في البيوت والمنابر وركب جماعة السيد حمود على الجبل المعروف بجبل عمر خلف بيوتهم، وترامواا بالرصاص دون مواجهة فعلية، واستمر بهم الحال ثلاثة أيام حتى تفاوضا الشريفين سعد وحمود وتم الاتفاق بينهم على تخصيص حصة من إيرادات الإمارة للشريف حمود في مقابل تنازله عن مطالبته بالإمارة، وارتفع البأس وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام، وكما هو متّبع أخطر الشريف سعد والي مصر، الذي بدوره أخطر الباب العالي فصدر الأمر السلطاني بتأييد ذلك والموافقة على تعيين الشريف سعد في إمارة مكة، فلبس الشريف سعد الخلعة في المسجد الحرام وقُرئ الأمر السلطاني وجلس سعد للتهنئة، ولم يحضر الشريف حمود ولا أحد ممن معه للتهنئة، ومع ذلك استمرت العلاقات بينهم حسنة، إلا أن الشريف سعد تنكر لاتفاقه مع الشريف حمود الذي أعلن عصيانه وخروجه عن طاعة الشريف سعد ورحل من مكة إلى وادي مر حيث ظل بها(٢).

---

(١) دحلان، أحمد الزيني، **خلاصة الكلام، المرجع السابق**، ص ٨٢، السباعي، أحمد، **تاريخ مكة، المرجع السابق**، ص ص٣٧٥– ٣٧٦.

(٢) عبد المعطي، حسام محمد، **المرجع السابق**، ص٣٣.

بدأ التدخل المصري في الأزمة بواسطة أمير الحاج المصري، عندما أقام السيد حمود بمن معه من السادة الأشراف وغيرهم خارج مكة إلى قدوم محمل الحاج المصري فاجتمع بأميره[١] السيد حمود، ومعه السيد أحمد بن محمد الحارث، والسيد بشير بن سلمان، وعرضوا عليه الوضع، وعدم وفاء الشريف سعد فيما التزم لهم به من إيرادات، قائلين له أنهم لن يدَعَوا أحدًا يحج حتى يأخذوا ما هو لهم وكان قدره مائة ألف أشرفي، وقبِل الشريف حمود أن يدفع له الشريف سعد نصفها والمقدر(بخمسين ألف) قبل الصعود، وخلَّى سبيل أمير الحاج ومن معه، فدخل مكة في ٥ذي الحجة ١٠٧٧ه، وخرج إليه الشريف سعد ولبس الخلعة المعتادة إلا أن أمير الحاج طلب منه سداد ما التزم به للسيد حمود وأتباعه، فوافق وأعطى خادم السيد حمود الخمسين ألف قبل الصعود وبقى السيد حمود ومن معه بالوادي إلى الثالث عشر من ذى الحجة، ثم دخل مكة ومن معه من الأشراف[٢].

وهنا نجح التدخل المصري الأول في إعادة الوفاق مرة ثانية في مكة، وقصد أمير الحج المصري وكبار العساكر الصلح بين الشريفين فترددت

---

(١) المقصود بالأمير هو أمير الحاج المصري الذي يرأس وفد حجيج مصر كل عام، وأول من تولى إمارة الجاج في الدولة الإسلامية هو الخلفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، واستمرت طوال الدولة الإسلامية إلى وقتنا هذا مع اختلاف في المسميات. انظر: عمر، سميرة فهمي على، **إمارة الحج في مصر العثمانية ٩٢٣-١٢١٣هـ/١٥١٧-١٧٩٨م**، (القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب٢٠٠٢م) ص ص٦٧-٧٠.

(٢) دحلان، أحمد زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي إلى وقتنا هذا بالتمام**، تحقيق محمد فارس الشيخ، ورأفت عبد العزيز، ط١ (مصر المطبعة الخيرية ١٣٠٥هـ)، ص ص١٦٣-١٦٤.

الرُسل بينهم ثم عقدوا مجلسا حضره الأمراء ووجوه الدولة وعماد أفندي لسماع الدعاوى التي بينهم، فأرسل الشريف سعد، بلال أغا وكيلًا عنه في حضور المجلس ولم يحضر بنفسه، فاغتاظ السيد حمود من ذلك وأراد الفتك بالمبعوث في ذلك المجلس، فذهب بلال مُسرعا فزعًا، فأرسل الشريف سعد أخاه السيد محمد يحي، وكيلًا عنه وتناقشا الخلاف على يد الحاكم الشرعي وطال المجلس ولم يقع بينهم اتفاق، وادعى محمد يحي على السيد حمود أنه أخذ أموالًا من طريق جدة فلم يثبت عليه ذلك بوجه شرعي، وطلب السيد حمود موافقة المجلس بالتوجه إلى الديار المصرية لرفع الأمر إلى الحضرة السلطانية فأذنوا له وتوقف الوضع إلى هذا الحد إلى أن تتدخل مصر في الأمر(١).

أخذ الأمر اتجاهًا آخر وهو عرض الخلاف برمته على والى مصر عمر باشا(٢) بصفته المخول من قبل السلطان العثماني بتدبير الأمور في الحجاز، للحكم على الخلاف بين الشريف سعد والسيد حمود، وبالفعل أرسل السيد حمود بن عبد الله وفدا بخطابات بتفاصيل النزاع إلى باشا مصر على رأسه ابنه أبو القاسم والسيد أحمد الحارث وابنه السيد محمد والسيد غالب بن زامل بن عبد الله بن حسن وجماعة من ذوي عنقا وأرسل مع الوفد هدايا إلى والي

(١) دحلان، أحمد زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان**، المرجع السابق، ص ص١٦٣-١٦٤.

(٢) قدم عمر باشا في خامس ذي الحجة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٤م، وظل واليا على مصر عامان إلى رمضان ١٠٧٧هـ/١٦٦٧م، انظر المزيد عنه في، بن الوكيل، يوسف الملواني، **تحفة الأحباب بمن ولي على مصر من الملوك والنواب**، تحقيق: محمد الشيشتاوي، ط١، (القاهرة، دار الأفاق العربية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص١٤٣.

مصر عمر باشا، لكن هذا الوالي عُزل قبل وصول الوفد إلى القاهرة وتولى أمر مصر إبراهيم باشا البستانجي[١]، الذي أرسل إلى الشريف سعد مكاتيب " متضمنة الأمر بالإصلاح، ثم طالت مدة رسول الوالي المصري إبراهيم باشا في مكة، وحصل هرج ومرج وجاءت الأكاذيب متتالية، فأشيع في القاهرة أن السيد حمود ومن معه قد قتلوا مبعوث الوالي المصري.

ويرى الباحث أن هذه الشائعات هي التي حولت موقف مصر تجاه الشريف حمود وأظهرته بأنه هو المعتدي على الشريف سعد وبالتالي تعجل والي مصر في إرسال أولى حملاته ضد الشريف حمود وكانت النتائج مخيبة للآمال[٢]، إذ ضيق الباشا الخناق على وفد الشريف حمود بن عبد الله، وجهز تجريدة من خمسمائة عسكري تحت قيادة يوسف بيك وعينه على مشيخة الحرم وسنجق ومحافظ جدة وتحرك في أواخر جمادى الآخر، لقتال الشريف حمود ومن معه، ودعْم موقف الشريف سعد، فلما وصلت التجريدة إلى ينبع، أرسل السيد حمود إلى يوسف بيك يحذره من القدوم لقتاله، ويطلب منه العودة لمصر بسلام، فلم يوافق فكرر له التحذير السييد حمود ثانيًا وثالثًا فلم يمتثل فلم يشعر إلا والسيد حمود على رأسه ومحاطين به هو وأتباعه من العربان[٣]،

---

(١) قدم البستانجي مصر وتولى حكمها في ٢٠شوال١٠٧٧هـ/١٦٦٧م وأقام إلى أن توفي سنة١٠٧٩هـ/١٦٦٩م، وفي عهدة ارتفعت أسعار الأقوات، ووقع بمصر الطاعون. للمزيد عنه انظر: بن الوكيل، يوسف الملواني، **تحفة الأحباب، مصدر سابق**، ص ص١٤٥-١٤٦.

(٢) دحلان، أحمد بن زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان المرجع السابق**، ص٨٢.

(٣) بن الوكيل، يوسف الملواني، **تحفة الأحباب، مصدر سابق**، ص ١٤٦.

فتحارب معهم ساعة وهُزم، وزاد الأمر سوءًا انضمام الشريف محمد بن زيد أخو الشريف سعد بعد أن تنازع مع أخيه على الحصة المفروضة له هو الآخر، وجماعة من جهينة وغيرهم قد جمعهم الشريف حمود وجهزهم، فقتلوا نحو الأربعمائة من رجال التجريدة المصرية، وألقوا القبض على السنجق واستولوا على أموالهم، وحريم السنجق وأولاده وقالوا هؤلاء رهائن في مقابل "السيد أبي القاسم بن حمود والسيد محمد بن محمد الحارث، وأصيب في المعركة جماعة من الأشراف وغيرهم، ولم يقدَّر لتجريدة باشا مصر أن تنجح في مهمتها وظل السيد حمود بن عبد الله، والسيد محمد بن زيد مستمرين في عصيانهما وخروجهما على الشريف سعد، ويرجع الباحث هذا الانتقام لما علمه الشريف حمود من تنكيل واعتقال لابنه وللسيد محمد بن الحارس ووفده في مصر، وكل ذلك بسبب نقل الأخبار والإشاعات الكاذبة، هذ وقد وصل خبر هذه المعركة وما حدث فيها إلى مكة في ١٩رجب ١٠٧٨هـ/٤يناير١٦٦٨م، فحصل فيها اضطراب كبير نظرا للرعب الذي دب في قلوب أهلها لانتصار الشريفين الخارجين عن طاعة شريفها سعد بن زيد(١).

كما يرى الباحث أن هذه الهزيمة المنكرة التي تعرضت لها القوات المصرية قد حطت من شأن وهيبة القوات المصرية في الحجاز، ومن هنا سادت في أوساط الحجاز جميعا وليس في مكة والمدينة فقط حالة من الخوف

(١) دحلان، أحمد بن زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان، المرجع السابق**، ص ص١٦٤-١٦٥، السباعي، أحمد، **تاريخ مكة، المرجع السابق**، ص ٣٧٦، الطبري، المكي، **اتحاف فضلاء، المصدر السابق**، ص ص٤٤-٤٦.

والهلع، وانتشرت السرقات والاعتداءات على الأعراض والممتلكات والأقوات، ومر الحجاز بأصعب فتراته من الخوف وعدم الأمن والجوع والقتل، وعدم احترام المقدسات، ولم يقتصر الأمر على الحجاز بل كان لهذه المعركة أثر على مصر نفسها من غلاء الأسعار وانتشار الفوضى، بل ربما كان هذا الفشل سبب في الإطاحة بوالي مصر وتعيين حسين باشا المعروف بابن جان بلاط واليا جديدًا لمصر.

عندما علم إبراهيم باشا والي مصر بهذه المعركة، وما حل بالتجريدة التي أرسلها، قام باستفتاء العلماء في قتل السيد أبي القاسم والسيد محمد بن محمد الحارث، فلم يفتوه، فضيق الخناق على السيدين ووضعهما في مكان لا يليق بهما، وكان ينوي الانتقام منهما ولكن بعد تدارك الأمر في الحجاز(١).

كان لهذه المعركة أثر كبير ليس في مصر فحسب بل في الحجاز أيضًا، فوصل ثمن أردب القمح إلى خمسين دينارًا، وعانت مكة والمدينة من أزمة غذائية حادة، وانقطعت عنهم سبل الوارد، من غلاء الأسعار، فطحن أهل مكة الفول والحمص وجعلوه خبزًا، وحدث مثل ذلك لأهل الطائف من الجوع والغلاء بسبب الصراع حتى ظن الناس أنهم هالكون من الجوع، ونهب قطاع الطرق حوالي عشرين بعيرًا وهو ما تبقى من غلال وغذاء وقماش كان على الطريق من مصر إلى الطائف، ولم يبقوا منها شيئًا، ووقع بين أهل الطائف وأهل السيل قتال أصيب وجرح وقتل فيه من الجانبين عددٌ كبير، وخرِّبت البيوت، كذلك اجتمع فئة من الباغين وداروا في أطراف مكة ونواحيها يتخطفون الناس، ويؤذون المسلمين، وفي يوم الأحد ٦رمضان١٠٧٨ه اجتمع

(١) الطبري المكي، **اتحاف فضلاء، المصدر السابق**، ص ٤٥.

الناس، وتوجهوا إلى الشريف سعد، ورفعوا أصواتهم بين يديه، يشكون الناظر والمحتسب، فأمر بإحضارهما وعزلهما لثبوت تورطهم في الأزمة القائمة في الحجاز(١).

وظلت الأحوال في الحجاز بعد هزيمة القوات المصرية على يد الشريف حمود تزداد سوءًا وتكررت حوادث النهب والسرقة والخطف، إلى أن جاءت البشرى بتحرك القوات والسفن المصرية بالقوات والأقوات تجاه الحجاز لإنقاذ الموقف وحماية المدن المقدسة(٢).

أما مصر فقد التهبت نيران الغضب عند واليها إبراهيم باشا البستانجي، وأمرائها بما حدث للحملة، فقتلوا من ظفروا به من أتباع السيد أبي القاسم، والسيد محمد، وتتبعوا أثرهم ونادوا في البلاد بالوعيد الشديد لمن خبأ أحدًا منهم، وقرر الوالي المصري إبراهيم باشا على الفور إرسال حملة ضخمة على رأسها ثلاثة سناجق وهم محمد بيك أبو قورة، ويوسف بيك صهر النقيب، وطبال حسين بيك، وعشرة من أمراء الجراكسة، وأمَّر عليهم محمد أبو قورة وأعطاه صنجقية جدة، وتقدمت الحملة بصحبة الحُجاج في سادس شوال سنة (١٠٧٨هـ/١٦٦٨م) تدعمهما قوة بحرية مكونة من عشر سفن تحت قيادة قبودان السويس(٣) وفور علم السيد حمود بخبر وصول الحملة المصرية وكثرة

---

(١)العاصمي، عبد الملك حسين عبد الملك المكي، **المصدر السابق**،ج٤، ص٥٠١.

(٢) العاصمي، عبد الملك حسين عبد الملك المكي، **المصدر السابق**،ج٤، ص٥٠٢.

(٣)العاصمي، عبد الملك حسين عبد الملك المكي، **المصدر السابق**،ج٤، ص٥٠١. وانظر، السنجاري، تقي الدين بن يحي بن اسماعيل بن عبد الرحمن المكي، **منائح الكرم في أخبار مكة وولاة الحرم**، (القاهرة، مخطوط بمعهد البحوث والدراسات العربية، تحت رقم ٨٣١تاريخ)، ص٢٦٣.

الجند، حمل ما خف من خيامه وفر ليلًا وترك خيامه بما فيها، فنهبها العسكر، ثم رجعوا بصحبة الحجاج إلى مصر دون تصريح لهم بالعودة قبل القضاء على السيد حمود الذي ربما يعود ليكدر الأجواء في الحجاز، وعنفهم الوالي المصري ورفض دخولهم مصر لولا الوساطة التي تدخلت لعدم إحداث فتنة فيها(١).

لكن قبل أن يُنفذ والي مصر البستانجي هدفه تجاه السيد أبي القاسم، والسيد محمد، الموجودين تحت يديه بمصر انتقاما لما اقترفه والداهما وبنو عمهما، عُزل من ولاية مصر، وولي أمرها قره قاش علي باشا(٢)، فتحرى عن الواقعة وثبت لديه وجودهم بمصر قبل مدة من هزيمة الحملة المصرية، لذا أفرج عنهما وأكرمهما وأعضاء الوفد، وعاد السيد محمد بن محمد الحارث إلى مكة، وبقى أبو القاسم بمصر إلى أن توفي بها بالطاعون، واستمر الشريف حمود في ينبع بعد المعركة كما في بعض روايات المصادر أي أنه لم يهرب منها، ثم انتقل للشرق وحارب مطير وبني ظفر وبني حسين، ثم حدثت مفاوضات بين الشريف سعد والسيد حمود، بوساطة مصرية في عهد الوالي المصري الجديد بن قره قاش وتم الصلح بينهما في الطائف، ودخل السيد حمود مكة، وتكاتبا وتعاهدا على تشييد مباني الصلح المحكم الأساس وبذلك تكون مصر قد أعادت الأمور إلى نصابها في مكة وثبت بقاء الشريف سعد

(١) عبد المعطي حسام محمد، **الحجاز في القرن السابع عشر، المرجع السابق**، ص٣٤. وانظر: بن الوكيل، يوسف الملواني، **تحفة الأحباب**، مصدر سابق، ص ١٤٦.

(٢) قدم مصر في ١٣ ذي القعدة ١٠٧٩هـ/١٦٦٩م وظل في الحكم إلى أن توفي في الثلاثاء في شعبان سنة١٠٨١هـ. انظر: بن الوكيل، يوسف الملواني، **تحفة الأحباب**، مصدر سابق، ص ص١٤٧-١٤٨..

في منصبه لكن الأمر لم يدم له طويلًا نظر لأنه ربما كان يختلق لنفسه الأزمات على النحو الذي سيتم عرضه[١].

في تلك الفترة أرسل أهل المدينة كثيراً من الشكايات ضد الشريف سعد إلى الدولة العثمانية، فأرسلت الدولة العثمانية حسين باشا جان بلاط مع الحاج الشامي مفوضا بإمرة جدة ومشيخة الحرم المكي والنظر في أمر مكة[٢]، وعند وصوله إلى مكة حدث منه بعض مضايقات للشريف سعد، كما حدث في الفترة نفسها أن ثار عسكر الشريف سعد ضده لتأخر مرتباتهم، وتعصبوا مع شيخ البعثة ونهبوا ما قدورا عليه، ثم نزلوا متجهين إلي اليمن، وفي ٥ربيع الثاني ١٠٨١هـ/٢٢أغسطس١٦٧٠م، حدث تنافر بين بقية عسكر الشريف وانقسموا فرقتين، وتقاتلوا بالسيوف على باب منزله ثم اصطلحوا، ثم دخل الشريف محمد بن زيد مصالحا لأخيه الشريف سعد ٥ربيع الأول١٠٨١هـ/٢٣يوليو١٦٧٠م، واستقر به المقام في مكة، بفضل وجود المفوض من قبل الوالي المصري للنظر في أمر مكة وتدبير أمورها إلا أن الصراع لم ينته بعد[٣].

فقد طلب الشريف أحمد بن زيد من أخيه الشريف سعد أن يكون شريكا له في مكة فوافق وفوض إليه ربع دخل مكة، وأمر أن يُدعى له علي المنبر معه،

(١) دحلان، أحمد بن زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان المرجع السابق**، ص١٦٥.
(٢) دحلان، أحمد بن زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان نفس المرجع**، ص١٦٦.
(٣)دحلان، أحمد بن زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان**، ص ص١٦٦-١٦٧.

وأرسل بذلك إلي مصر ومنها إلى الدولة العثمانية فجاء الأمر بالموافقة، وأرسلت لكل منهما خلعة بهذه المناسبة(١).

كان الشريف سعد جريئاً وكانت جميع الأمور في يده ولم يكن لأخيه إلا الإمارة الاسمية فقط، ومن ثم استغل سعد حسن معاملة الدولة العثمانية وولاتها في مصر والشام، واغتصب بضائع التجار وصادر الصرة المرسلة من اسطنبول، كما جلب قوة إمام اليمن واحتل جدة، كذا استغل نفوذه على البدو ونهض معارضاً الدولة العثمانية(٢).

لم ينته دور مصر إلى هذا الحد فصراعات الشريف سعد لم تنته بعد فعندما ذهب حسن باشا إلى المدينة المنورة حسَّن له محمد ظافر عزل الشريف سعد وتعيين السيد أحمد بن محمد الحرث بن الحسين بن أبي نمي شريفا على مكة، ولما كان حسن باشا والي جدة مفوضا من مصر بالنظر في أمر مكة كما سبقت الإشارة فإنه قام بتعيين السيد أحمد بن محمد الحرث وألبسه خلعة الروضة الشريفة، وهذا اعتداء من قبل والي جدة على قاعدة اختيار الشريف أولا من قبل الأشراف(٣).

---

(١)دحلان، أحمد بن زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان**، ص١٦٥، الطبري المكي، **اتحاف فضلاء، المصدر السابق**، ص ٤٧.

(٢) حقي، اسماعيل، **أشراف مكة، مصدر سابق**، ص٥١١.

(٣) الطبري، المكي، **اتحاف فضلاء، نفس المصدر**، ص٤٩. دحلان، أحمد بن زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان**، ص١٦٧. وانظر: الصميلي، على بن حسن، **التنافر بين أمير مكة الشريف سعد بن زيد وسنجق جدة وشيخ الحرم حسن باشا١٠٧٩-١٠٨٢هـ**، (القاهرة مجلة دار العلوم٢٠١٠م)، عدد٥٥، ص ص٥٧٩-٥٨٦.

علم الشريف سعد بما فعله حسن باشا، فقام بالسير إلى ينبع، ورأسل من هناك إلى الشريف أحمد بن محمد الحرث، متسائلاً هل هذه هي رغبته؟ أم أنها فتنة يريد الباشا أن يثيرها بين الأشراف؟ فرد عليه بأن الأمر لم يكن على هواه وإنما هو إلزامًا، مع علم الشريف أحمد بأن هذا الابتداء لا يكون له تمام، لما وصل رد السيد أحمد بن محمد الحرث، وأدرك أنه أجبر علي توليه مكة، وأنها فتنة أرادها حسن باشا والي جدة، عمل على ضم السيد حمود بن عبد الله إليه ونجح في ذلك واتفقا الاثنين معا على الخروج لقتال حسن باشا والي جدة، المكلف من قبل والي مصر بتدبير أمر مكة، لكن قبل أن يلتقي مع حسن باشا للقتال عُزل هذا الباشا، وفي رواية[١] أن الشريف سعد هجم على والي جدة في منى أثناء أداء الشعائر وقتله هو ومائتي جندي برفقته، وبناءً عليه عادت الشرافة مرة ثانية بالقوة إلى الشريف سعد وتولى معه أخوه أحمد أمر مكة[٢].

وما كاد يستقر به المقام في مكة حتى قام أعداؤه وعلى رأسهم الشيخ محمد بن سليمان المغربي وأوغروا عليه الصدر الأعظم، أثناء وجودهم في القسطنطينية، فكلف السلطان والي مصر إبراهيم باشا[٣] بأن يعد حمله من ثلاثة آلاف عسكري بقيادة أزبك، ويرسلها إلى مكة لوضع حد لتصرفات

(١) حقي، اسماعيل، **أشراف مكة، مصدر سابق**، ص ص١٥١-١٥٢.

(٢) دحلان، أحمد بن زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان**، ص ٨٧، الطبري، المكي، **اتحاف فضلاء، المصدر السابق**، ص٥٠.

(٣) تولي حكم مصر بعد وفاة قره قاش علي باشا ثالث عشر محرم ١٠٨١م/١٦٧٠م، وفي أيامه تغيرت عملة مصر، وامتنع الناس عن التعامل بها واستمر في مصر إلى عام ١٠٨٤هـ. انظر: بن الوكيل، يوسف الملواني، **تحفة الأحباب، مصدر سابق**، ص ص١٤٨-١٤٩.

الشريف سعد، كما طلب من الصاري حسين باشا والي الشام أن يأخذ معه في الحج ألفي عسكري وعينه قائدًا عسكريا "سردارًا"، وأمره بإصلاح "البلد"، وتولية من يرى فيه الصلاح، وجعل إليه أمر ذلك، ولما حل موسم الحج أدرك الشريف سعد أن هناك مكيدة تدبر ضده، ودار سجال طويل لا يتسع له المجال بين أمير الحاج والشريف سعد بشأن الإستقبال، وأيقن الشريف سعد وأتباعه أنهم إذا أصروا على البقاء في مكة لا مفر من القتال، فآثروا الخروج على القتال في الشهر الحرام ولذا فإن أخاه الشريف أحمد سار إلى ديرة بني حسن، أما الشريف سعد نفسه فقد سار أولا إلى الطائف، ومنها إلى تربة ثم بيشة(١)، ومن هناك إلى عاصمة الدولة العثمانية ثم سافر إليها أخوه الشريف أحمد في ١٢ذي الحجة١٠٨٢هـ/ إبريل١٦٢٣م، وبخروجهما من مكة المكرمة أصبحت خالية أمام كل طامع في الشرافة(٢).

وفي تلك الآونة وفي السنة نفسها حدث أن اجتمع حسين باشا المفوض بإصلاح حال البلد وتولية من يري فيه الصلاح مع أمين الصرة وكاتب الديوان ومحمد جاوش في منزل الشيخ محمد بن سليمان المغربي، وكان السلطان قد أمر حسين باشا بألا يبرم أمراً دون مشورة الشيخ محمد بن سليمان، واستدعى المجتمعون جماعة من الأشراف، من بينهم السيد أحمد بن محمد الحارث، وأظهر حسين باشا للمجتمعين أمرًا سلطانيا بتولية شرافة مكة للشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي، فوافق

(١) بيشة: من قري إمارة أبها التابعة لمنطقة عسير، انظر : حمد الجاسر، **المعجم المختصر**، ج١، ص٣٠٦.

(٢) دحلان، أحمد بني زيني، **المرجع السابق**، ص٨٧، السباعي، أحمد، **المرجع السابق**، ص ٣٧٦.

الحاضرون[١]، وهذه مخالفة أخرى لنظام اختيار الشريف من قبل الأشراف، فقد صدر أمر تعيين الشريف قبل أن تتم عملية الاختيار بل ودون إجرائها، وهذا الأمر حدث من تدبير الشيخ محمد بن سليمان المغربي، وجاء الأشراف والأعيان والعربان تهنئ الشريف بركات، وامتدحه الشعراء كما يحدث دائماً عند تولية كل شريف لمنصب شرافة مكة.

وما لبث أن اجتمع الشريف وقائد العسكر وحسين باشا في يوم ٢٩ذي الحجة١٠٨٣هـ/ ٢٧إبريل ١٦٧٢م، في منزل الشيخ محمد بن سليمان، وقام الشيخ بإظهار أمر سلطاني بأنه مفوض فيه من قبل السلطان بالنظر في أمور الحرمين وإصلاحهما والتصرف في أحوالهما[٢]، فلم يعترض الشريفان على هذه الاختصاصات وأذعنا لما أعلنه الشيخ، وبذلك تنازل الشريف عن بعض اختصاصاته، ومنذ ذلك الحين ازداد تمادي الشيخ محمد بن سليمان في تصرفاته مع الشريف ثم مع الناس في مكة، ومع أهل الحرمين، وصدرت منه تصرفات ظالمة، من مصادرة أموال الناس، وطرد بعضم والاستيلاء على الغلال الآتية لأهل الحرمين، حتى ضاق الناس ذرعاً بتصرفاته، ووصف شاعر مكي الحال الذي نجم عن تصرفات الشيخ بقوله:

وظائف الناس قد صارت ما بين عبد ومعتوق وأفاقي
وأهل مكة قد غارت نجومهم فما يُرى كوكب بيد وبآفاق[٣]

---

(١)الطبري المكي، **اتحاف فضلاء، المصدر السابق**، ص ٥٤، انظر ترجمة للشريف بركات في المحبي محمد أمين، **المرجع السابق**، ج١، ص ٤٣٦-٤٥١.

(٢)المحبي، محمد أمين، **نفس المرجع**، ج٤، ص ٢٠٥، وانظر: الطبري، المكي، **اتحاف فضلاء، المصدر السابق**، ص ٥٤-٥٥.

(٣) دحلان، أحمد بني زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان**، ص ٩٢.

طلب السيد حمود بن عبد الله أن يأذن له الشريف بركات وحسين باشا والشيخ محمد سليمان بدخول مكة، فأذنوا له بدخولها فدخلها يوم ٧محرم١٠٨٣هـ /٥مايو١٦٧٢م، ثم حدث انشقاق من جانب الأشراف ضد الشريف بركات؛ لأخذه الإنعامات السلطانية التي أرسلت، ولذا فإن السلطان لما بلغه ما فعله الشريف سارع بإصدار مرسوم بأن يكون للشريف ربع مدخول مكة فقط، والثلاثة أرباع للسادة الأشراف بالسوية[١]، فقام الشريف بركات باتخاذ وزير له هو عثمان بن زين العابدين وألبسه قفطانا، وأخذ العسكر يمشون معه لإظهار قوة الشريف، ثم أرسل الشريف إلى الدولة يطلب أن يكون ابنه الشريف سعيد أميراً على مكة من بعده، ورغم مخالفة ذلك لقاعدة اختيار الشريف فإن الدولة وافقت على طلبه، وأصبحت هذه سياسة الدولة ألا وهي عدم احترام هذه القاعدة لتزيد من الصراع بين الأشراف، وبالتالي يضعف جانبهم، ولا يستطيع أحد منهم الاستقلال بالحجاز[٢].

(١) المحبي محمد أمين، **المرجع السابق**، ج١، ص ٤٤٦.

(٢) المحبي محمد أمين، **المرجع السابق**، ج ١، ص ٤٤٨.

المبحث الثالث
دور مصر والدولة العثمانية في زيادة الصراع بين الأشراف

خضع الحجاز للدولة العثمانية كما رأينا سلمياً، وكان ذلك مكسبًا عظيمًا لأنها أصبحت زعيمة للعالم الإسلامي، فنظرت إلى الحجاز نظرة تقديس وإجلال، وظلت الدولة طوال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، تتّبع سياسة إيجابية إزاء الحجاز وتحترم الأشراف احتراماً كبيراً، لأنهم ينتسبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، كما كانت تعطي لوالي جدة صلاحيات لا تتعارض مع صلاحيات شريف مكة(١).

يرجع ذلك لقوة الدولة حتى القرن السادس عشر الميلادي، ووفاة السلطان سليمان القانوني، فكان احترامها هذا للحجاز وعطاؤها من مركز قوتها، لكن بعد ذلك بدأت الدولة العثمانية تدخل مرحلة من الضعف، فبدأت خشية الدولة من الأسر الحاكمة، ومن محاولات استقلال هذه الأسر بمناطق نفوذها، ومن بين هذه الأسر الأشراف في الحجاز ومن هنا ومع مطلع القرن السابع عشر بدأت سياسة الدولة في الحجاز تلعب دوراً كبيراً في إضعاف نظام الشرافة، واتخذت الدولة عدة أساليب لزيادة الصراع منها(٢):

---

(١) نيقولاي، ايفانون، **الفتح الإسلامي للأقطار العربية، ١٥١٦– ١٥٧٤م**، ترجمة، يوسف عطا، ط١(بيروت، دار الفارابي ١٩٨٨م) ص٧٤. وانظر: حماد، عرفة محمد، **سياسة الدولة العثمانية تجاه الساحل الغربى للبحر الأحمر**، (السودان، مجلة دراسات حوض النيل – عمادة البحوث والتنمية والتطوير – جامعة النيلين ٢٠١٥م) مجلد ٩، عدد ١٧، ص٢٥٣.

(٢) الشناوي، عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**،(القاهرة١٩٨٠م) جـ ١، ص٢٠-٢٦. وانظر: حمدة، سمية بنت محمد، **حركة الفتح العثماني في القرن(١١هـ/١٧م)**، (المملكة السعودية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ص ص١٨-٣٢.

- أن تشرك في شرافة مكة شريفين أو ثلاثة في آن واحد، كما عملت على تقسيم إيراد مكة إلى أربعة أقسام، لكل شريف صاحب عزوة ربع، والشريف الحاكم نفسه له الربع[١]، والواضح من ذلك أن المقصود إضعاف كفة الشريف الحاكم، وإيجاد مجال للصراع بينه وبين الأشراف حتى لا يقوى ويتمكن من أن يعصف بنفوذ الدولة في الحجاز، وبالتالي تضعف مكانتها في العالم الإسلامي، ولذا فإنها أزكت روح الصراع السياسي بين الأشراف على منصب شرافة مكة وكانت دائماً تصدر قرار التعيين للشريف المنتصر حتى ولو كان باغيًا[٢]، بل وأحياناً تصدر قرار التعيين لأحد الأشراف دون الرجوع إلى السادة الأشراف أنفسهم[٣]، وأخذ رأيهم كما هي قاعدة الشرافة كما أوضحنا في المباحث السابقة[٤].

- أسلوب آخر اتبعته الدولة لإضعاف نظام الشرافة، وهو أسلوب التدخل المباشر في هذا النظام، وفي اختصاصات الشريف عن طريق ولاة مصر وجدة واليمن منذ أوائل القرن السابع عشر، فقد حدث خلال هذا القرن أنَّ والي مصر جرَّد عدة حملات على فترات متفرقة للتدخل في شئون مكة ولإقرار

---

(١) المحبي، محمد أمين، **المرجع السابق**، جـ ١، ص ٤٤٦، وانظر: دحلان، أحمد بن زيني، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، ص١٠٠، الشناوي، عبد العزيز، **المرجع السابق**، جـ ١، ص٤٥١.

(٢) الردادي، عائض بن نبيه، **الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ١٥٩١ - ١٦٨٨م**،(الرياض، رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٨٤.

(٣) أحمد بن زيني دحلان، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، ص ٨.

(٤) انظر المبحث الثاني.

الأمر لأحد الأشراف، كما حدث عندما جاءت تجريدة لإعادة الشريف زيد بن محسن إلى منصب الشرافة ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢/٣١م، وإخراج الشريف نامي بن عبد المطلب(١)، ونجحت الحملة المصرية في إعادة الشريف زيد بن محسن، وكذلك حينما تدخل مصطفي بك والي جدة في حكم مكة أوائل ١٠٥٧هـ/فبراير١٦٤٧م، وفي عهد الشريف زيد بن محسن حتى اضطر الشريف زيد إلى تدبير قتله وقتله فعلا، وحدث في سنة ١٠٥٩هـ /١٦٤٩م أن الأمير غيطاس بك تآمر مع الشريف عبد العزيز بن إدريس ضد الشريف زيد واستطاع أن يوطد سلطانه على الحجاز، ويقضي على محاولات العثمانيين التدخل في أمور الحجاز، وفرَض سلطانه على القبائل البدوية(٢).

- عامل آخر أدى إلى الصراع بين والي جدة وشريف مكة، وأدى إلى وقوع كثير من الحروب والفتن بينهما، وهو ازدواجية الحكم، بسبب إيراد ميناء جدة، حيث جعل السلطان العثماني نصف إيراد ميناء جدة من الجمارك (العشور)(٣) لشريف مكة، فكان والي جدة بعد ضعف السلطة المركزية

---

(١) عبد الغني، أحمد شلبي، **أوضح الإشارات فيمن تولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات**، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن(القاهرة، مكتبة الخانجي١٩٧٨م)، ص ص١٤٣– ١٨٥،١٦٧،١٦٦،١٦٤،١٥٣،١٤٥.

(٢) دحلان، أحمد بن زيني، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، ص٧٦.

(٣) العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، ص٥٥، وانظر: عبد القدوس الأنصاري، **تاريخ مدينة جدة**، ط١، (جدة مطابع الأصفهاني ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ص٧٣، وانظر: دحلان، أحمد بن زيني، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، ص٨٥، وانظر: الردادي، عائض بن بنيه، **الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري١٥٩١– ١٦٨٨م**، ص٨٢.

يستولي على نصيب شريف مكة من هذا الدخل، ولا يرجعه له إلا بعد الحرب أو القتال أو التهديد، كذلك كان والي جدة أحياناً يأمر بحذف اسم شريف مكة من الخطبة[١]، ولذا فإن جو العلاقات في معظم فترات القرن السابع عشر كان متوتراً بين والي جدة وشريف مكة وكانت سياسة الدولة تشجع ذلك حتى لا يستطيع شريف مكة أن يعلن استقلاله بالحجاز، وترتب على هذه السياسة وعلى الازدواجية في الحكم في الحجاز أن أصبح الأمن العام في الحجاز مضطرباً فصلاحيات الوالي العثماني متداخلة مع مسئوليات شريف مكة[٢]، وبدأ ينتقل الصراع بين الأشراف إلى الممالك المجاورة مثل الدولة السعودية الأولى، وبدأوا يحتكوا بها ويمنعون حجيجهم لفترات بعلم الدولة العثمانية[٣].

من خلال هذا العرض يتبين مدى الدور المهم الذي لعبته مصر سواء سياسيا وعسكريا، في الصراع الذي دار بين أشراف مكة، وخاصة الصراع بين الشريف سعد بن زيد والشريف حمود، تأثرت به مصر وأثرت فيه، حيث فقدت مصر في هذا الصراع ما يزيد عن أربعمائة جندي بعتادهم، كما أدت إلى فقدان ثقة الناس في إمكانية القوات المصرية الدفاع عن المقدسات الإسلامية في الحجاز، وعم الخراب في الحجاز، إصر ذلك مما دفع السلطان العثماني لتغيير الوالي المصري، وتعيين خلفا له تمكن من إعادة الأمن في الأراضي الحجازية مرة ثانية، وإن كانت الوسائل التي استخدمت غير أخلاقية إلا أن هذا هو واقع الدولة العثمانية في هذه الفترة.

---

(١) دحلان، أحمد بن زيني، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، ص ٨٣، وانظر: الردادي، **الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ١٥٩١ - ١٦٨٨م**، ص ٨٢.

(٢) ساطع الحصري، **البلاد العربية والدولة العثمانية**،ط١ (بيروت ١٩٦٠)، ص٢٤١.

(٣) متولي، أحمد فؤاد، **ملامح من تاريخ الحجاز في أوائل عهد الدولة السعودية الأولى**، (الدارة – السعودية ١٩٨١م) المجلد السادس العدد الرابع، ص ص١٤١-١١٥.

الخاتمة

على الرغم من أن أزمة الشريف سعد والشريف حمود ١٦٦٦م/١٠٧٧م، لم تكن الأولى إلا أنها كانت أبلغ أثرا على الحجاز، وكافة المناطق المحيطة ووصل أثرها إلى السلطان العثماني ودفعته للتدخل لحلها بواسطة والي مصر، على النحو السابق. ونستخلص من هذه الأزمة الآتي:

- حِرص الدولة العثمانية على بقاء سيطرتها على المقدسات الإسلامية جعلها تتدخل في شئون الأشراف مما زاد من حدة الصراع بينهم واستعار جزوته.

- كان نظام المشاركة في الحكم لأكثر من شريف في وقت واحد من أهم الأسباب التي دفعت الشريف حمود للمطالبة بمشاركة الشريف سعد في الشرافة لما تدره من أموال على صاحب المنصب.

- حرصت مصر منذ البداية على الإصلاح بين الطرفين ونجحت في ذلك إلى حد ما بعد عودة الشريف حمود من ينبع إلى مكة وقبوله الجلوس للصلح مع الشريف سعد، وعندما تأزم الأمر اتفقا على عرض الأمر على والي مصر لأخذ الرأي فيما يطلبه الشريف حمود.

- لعبت الإشاعات والأكاذيب دورًا خبيثا في إزكاء الصراع، ودفعت والي مصر إلى إرسال حملة باءت بالفشل وخسرت مصر أربعمائة عسكري، دون أن تنجح في حل الأزمة.

- أن هذه الصراعات دائما وأبدا الخاسر الأول فيها هو عامة المسلمين، نظرًا لتعرض أملاك الناس وأقواتهم للسرقة والدمار، وأعراضهم للهتك، وأرواحهم للقتل، بسبب انعدام الأمن واعتداء كل طرف على أتباع الطرف

الآخر، وينتج عنه أيضا تعطيل المشاعر المقدسة في الحرمين، وانتشار الفوضى وقطاع الطرق، وغلاء الأسعار...الخ.

- على الرغم من هزيمة أول حملة مصرية للقضاء على الشريف حمود وأعوانه، إلا أن مصر لم تترك دورها الهام لتأمين الحجاز بل على الفور أرسلت حملة تأديبية موسعة فر أمامها الشريف حمود، وعادت الأمور إلى نصابها في مكة والحجاز.

- لم يقتصر الدور المصري على التدخل العسكري بل أرسلت مصر مع حملتها الثانية عشر سفن محملة بالمساعدات الغذائية والمادية، وخلافه لإعادة الرخاء لبلاد الحجاز، نظرا لتكدس الأهالي بمكة والمدينة بسبب الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي ضربت البلاد في هذه الفترة.

- تتحمل الدولة العثمانية جزءًا كبيرًا من إزكاء الصراع بين أشراف الحجاز، بسبب تدخلها في نظام اختيار الشريف، وعدم احترام العادات المتبعة في ذلك، بالإضافة إلى إشراكها أكثر من شريف قي وقت واحد، وباقي التدخلات السابقة.

الملاحق

ملحق رقم١

لوحة من مخطوط[١] تفيد وفاة الشريف سعد بن زيد مقتول، مع ذكر بعض الحوادث في عهده ومنها صراعه مع السيد حمود.

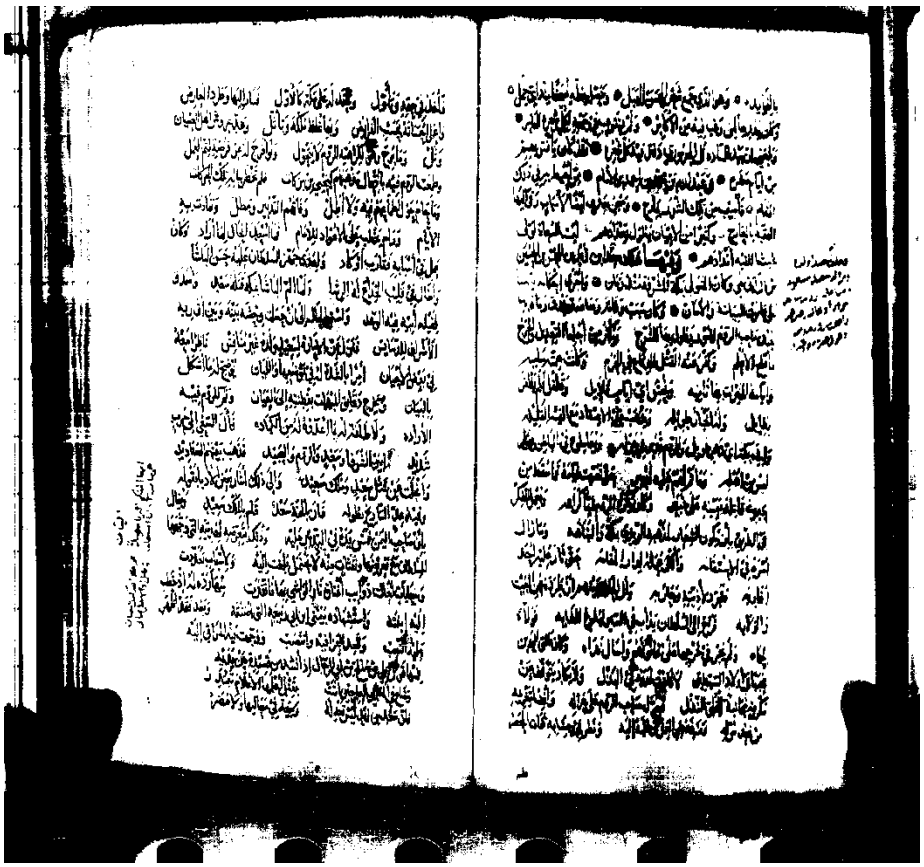

(١) المحسن، حسام الدين، **السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين ١٠٩٢-١١٥٠هـ**، (مخطوط بدار الكتب المصرية بباب الخلق، تحت رقم ٤١٨ تاريخ)، ص١٠١.

ملحق رقم٢

لوحة مخطوط[١] تفيد وفاة الشريف زيد في ١٠٧٧هـ، وتولي ابنه سعد منصب الشرافة في هذا العام.

(١) لمجهول، الأزهار المكية في أخبار الدولة الحسينية في مكة، (مخطوط بدار الكتب المصرية بباب الخلق، تحت رقم ٩٨٨ تاريخ تيمور)، ص ص٢٨-٢٩.

ملحق رقم٣

أربع لوحات[1] من مخطوط سُرِدَت فيها الصراع الذي دار بين الشـــريف سعد والسيد حمود، وموقف مصر من الصراع.

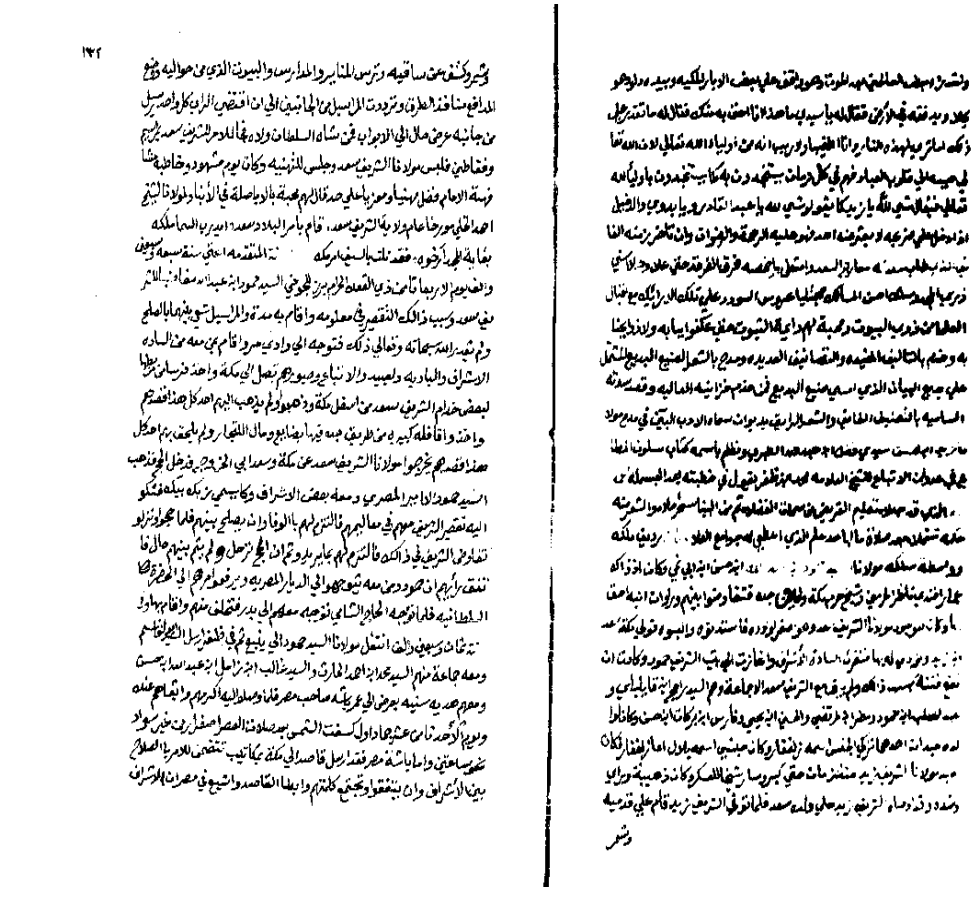

(١) الطبري الكي، **اتحاف فضلاء المصدر السابق**، ص ص ١٣٢-١٣٥.

وان كان الامر خلاف ذلك وكان في نفسه ان يتولاه فعند انتظام الامور وتمشيات الامر الله
مع غير ذلك فراجعا جملة ان شاء الله تعالى وان تستريح اطلاعا الاشارة و
غير ذلك فارسل اليه يعرفه انه الغارب بالامر ان يلبث على حاله واما
هو الزام على بان عدة الاربعة الاشهر لا تكون الا تمام فاضافة الشرع في جميع الحوادث فلما كان
اثنا عشر في جمادى الاولى واذا فارس على فرس وجهه مكتوب بيده عند صوبا
والبيه اما مكتوب صوبا بعد السلام الوصف الحسن اتفاقه وليتا اتمام الامر
امر لفظا في سنا صحيح في اللفظ والمعنى والقصد فانه يحمد السعادة ان شاء الله وكونوا على
لا تعلم على من خلف وعده ولكم ما تريدونه من الجهات والمصالح وزيادة فوق ما يجب به
القول بعد العلم وصرح الكتاب الثاني بعد العبارة بالجواب الذي يقتضيه والمعنى
صفاق الى بلوغه لم يكن عند الامر بالي ولم التفت اليه بالمقال واما قال واما قضى ولكه
محبة الى السعي وكرر على القول مرة بعد اخرى ولم ار فقه حتى رأيت جده النبي عليه
السلام قال لي واقف عند في المرام شيئا مرصت وكان هايه سعة فالقصد ان
انا اهو الذي تعرفه ولا تنكره ذا قبل النبا فهو اعظم جميل تذكر زهر تي الذا
سل واذ انا فاقصد الاجوبة العلية الى مكة بعز اهنى باشا ومبشر للشريف
خلعه باشويه فارسل مولانا الشريف من نوبه مجابا الى مكة بخير يعزيه هنى باشا
وطلبه الى الاوبه فيوجه هنى باشا على طريق غزة فجاءت وفاته عليه حلتي
من المدينة ورجوع الشريف محمد الى مكة لقرب الموسم فلما كان شهر ذي القعدة جاءت الخلعة
الباشوية لمكث جاء جديد شاوش صحبته خوجة الاف والسيد في ذلك انا نحمل
المدينة اعرضوني الشريف محمد لا يوجد مثله وحسبته العرض فيه اية فاضا وحسن اخذا
عذب ابن عاقر باسباب هنى باشا الى قرنم الى مصر الى بلاد اليمن ارسلوه به الباشا
الذي طرب فيه الى حضرة الوزير وكتب الاقاويل وكان الشيخ عبد الرحمن سيلان عند اكبر
كان في نفسه شيء من الشريف محمد وسببه انه كان مصاحبا الرجل ان يكون قبل له لفظي
كان ما تأذى الشريف محمد وطلب منه بعض دراهم فامتنع فامر بكسر رقبته واعتقاد من
اجل له فهرب ابن سيلان وطلب الاجوبة العلية
ان الشريف بركات لو يعلم انه سيفعل ما فعله بعض دراهم ما كان يعطيه

طلب هنى باشا الشريف بدوابه ومثله في الخطب

فهرب الشريف محمد الى بلاد اليمن فاعتقله صاحبها

ولي السلطان صلاح عند السلطنة قبيل وتاما خلعا واجارا ان يوجه السلطان وما
وصحبه الكلام على ما ينبغي وجده وتاما سنا وسنوفا فجهيزه الصدر الوزير الاعظم ابو بكر
باشا السلطاني الى ولاية مصر باشا بتعهيز ثلاثة الوف عسكر من مصر الى مكة وكتب
الى صاحبي هنى باشا صاحب حلب ان يجمع في عدة العام بالذين عسكر بهم على طريق
الحديدة والبر من اردون اشارح الشيخ عبد الرحمن سيلان الطريق وامر الشيخ بالخير والصلاح
البلد وتولية من يرى فيه الصلاح وجعل البعد ذلك عنا فاظن ثانيا ثم ينبغي
القعدة ورجعت شاوش بخبر تلاثة الوف عسكر ونزلت في ساحل خارج الشعب فجاء
اليه وزير الشريف محمد علي ابن سليم والي الحكم برهة من الشريف فجاء فرس وهدية
مدحبة وكذا اكاه اخوه الشريف احمد عشكر معها واكتحلان بجيبه بعد العسكر ثم
يجرهم وصال الاعلام الى واما جهزت بهذه العسكر الى مكة وصيل الى بعد ليلة يجمع
الحج الثاني هنى باشا والي الامر اليه وامر في حضرة صاحب العمارة الى لا دخل
البلد بهذه العساكر وفي صابع عشرينه وصل كتب من المدينة في عند الشيخ محمد
سليمان الى مولانا الشريف عمر ينا القديمين بوصوله صحبة هنى باشا فما
فرا مولانا الشريف كتابا به امر القاضي عام الذي الرصد جب يبلغ انشاء ليه
وارسل سمه كاتب الجزايه خير جليبه يا مصطفى ابن محمد وفي ثالث شهر الحجة جت
مولانا الشريف الى محمد جاوش ان يتيسر فوهن طريق الحديدة يوم حرور الشريف
الى لقاء الامير فاستبعد من ذلك فعند ذلك ظهر لمولانا الشريف غرضه في
اليوم الخامس في ذي الحجة ورد الامير للصبر ازبكه بيك وانتظر مجيء مولانا الشر
يف فلم يأته فارسل يصالحه من سبب التأخير فاجابه مولانا الشريف باستاذ محمد جا
وتعين الشريف عن طريقه فارسل يؤمن مولانا الشريف الامير جاب تارسوله
يوعن من الساحل رجاء بني فعند ذلك حزم مولانا الشريف بخروجه على طريق
الجبل وتزاحم على الامير ولوقيا الامير وبعدهما خلصهما وجهاد ضاط الا
عند اوفى فاتهم بعدهم من صاحب مكة انه ضد مولانا الشريف فاخذ الامير الجبل فلما وصل الى
منزلها طلق الساحل فعاد الى البر وفي هذا اليوم ارسل مولانا الشريف
قاصده الى البيضا من جريدة لعين يامر الامير فرجاء ان صاحب مكة يحب بالصد

سليمان

فهرب الشريف محمد الى جبل اليمن فاعتقله صاحبها

١٣٥

وان كان الامر خلاف ذلك وكان من تسول له نفسه هذا الظلم الفادح وتسيغان الطمع الله
عم غير لفظا فوق فعل جهله ان تستفزه فيها السليس وان تستر له اعلاه الاشاوه و
هو ما الجليس فارسل اليه يعرفه بان الامر ليس كما قارب بان الامر لم يكن على ما ذكر وانما
هو الزام مع علمي بان هذه الوسيلة لا تقام فاضاء الشريف في جميع الحجر فلما كان
آتاني خبر في جمادى الاول واذا بفارس على فرس وجيه مكتوب بين عينيه حسن باشا
والده اما مكتوب حسن باشا بعد السلام الوصف الحسن اتفاقه ولينا احكام الحجر
امر لها ان صحيح في اللفظ والمعنى والقصد فان بحمد الله وتوفيقه اعلم
لا ضبط على ظن وعقد ولكم ما تريدونه من الجهات والقضايا وزيادات شوق ما وجب به
القوانين والعادة وصرح الكتاب الثاني بعد الياء والالف والواو بالاستثناء والعفو الا
صفاق الى يأتوه لكي هذا الامر يا لي ولم النفت اليه بالقال واما قال واما تقضي ولك
عبر الى السوء وكرر على القول مرة بعد اخرى ولم ار اقعه حتى رايت جده النبي عليه
السلام قال لي واقف عند راسي في المنام فجئته مرعبت وكان عاد بي سيفه فاقصد لي
انا اعفو عنك الذي تعرفه ولا تكرره فاقبل اني اعفو اعظم جميل تذكر وزهر في الدنيا
سل واذا ابا انا اصدك الابواب العالية الى مكة بغير حسن باشا وحبس الشريف
غلمه باشيه فارسل مولانا الشريف من توجه بجابا الى مكة يحذر بغير حسن باشا
وطلبه الى الاكوه فتوجه حسن باشا على طريق غزة فجاءته وفاته على يوم حلين
من المدينة ورجع الشريف سعد الى مكة لقرب الموسم فلما كان شهر ذي القعدة جاءته الخلعة
الباشوية فمكث جاه خير محمد شاوش صحبته نحو عشرة الاف والسبب في ذلك ان اهل
المدينة اعرضوا في الشريف سعد لامور خرج منه وعصبته الغرض فيه انه ظاهر فحسن لهم
هذه الفرصة فارسلوا يطلبون باشا الى غزة ثم توالى حضور اهل المدينة ليسلموه الباشا
الذي طرب فيه الى حضرة السلطان وكثرت الاقاويل وكان الشيخ محمد ابن سليمان حضر ان
كان في نفسه شيء على الشريف سعد وسببه انه كان مصاهرا لرجل ان يكن يقال له لفقيه
كان تاجرا والشريف سعد طلب منه بعض دراهم فامتنع فامر بكسر قبته واخذ ما فيها من
اجل ذلك فهرب ابن سليمان وطلب الابواب العلية [illegible] يشكي الشريف ويقول
ان الشريف بركات ويبلغه عنهم اعانة بعضهم شيئا من الدراهم وبعضهم باعوا اثاثهم
الى

طلب حسن باشا الى الباب العالي بواب ومثله في كتب

الى السلطان صلى الله عليه وسلم السلطنة قبول تاما فجاء اجابا الشريف بلطفها وما
وجه الكلام طريقا وبديا وجه اوتاسا وشفوفا فجيد الصدر الوزير اعظم وافر الجد
امر سلطاني الى صاحب الحد باشا بتجهيز ثلاثة الوف عسكر من مصر الى مكة وكتب
الى صاحب حسن باشا صاحب حلب ان يجهز في هذا العام بالذين عسكر بدمشق امر
الحرمين ولا يعرض لهم دون اشارة الشيخ محمد ابن سليمان المقربين وامر الشيخ بالخير والصلاح
البلد وتولية من يريد فيه الصلاح وعمل البقاء ذلك فلما تاتي حسن باشا
القعدة ورد محمد شاوش بجهز ثلاثة الوف عسكر وترك في ارض غارب الشيخ محمد
اليه وزير الشريف محمد علي ابن سليم والحاكم برمه به من الشريف في جهاز فرس وجرية
مدحبه وكذلك اخوه الشريف احمد فشكر معلما واكتجزن بجيه بهذا العسكر فلم
يجهزهم وقال لا علم الي واما جهزت بهذه العسكر الي مكة وقيل لي يعمل بها بحج
الحج الذي حسن باشا وان الامر اليه وامر في حضرة صاحب المعاونة اني لو ادخل
البلد بهذه العساكر فيسابع عشر منه وصل كتب من المدينة من عند الشيخ محمد ابن
سليمان الى مولانا الشريف مضمونها التعريف بوصوله صحبة حسن باشا فلما
قرا مولانا الشريف كتابه امر القاضي عامر الذي المرشد حتى يلقى الشريف
وارسل معه كاتب الجزايه فجاء عليها بارسطفي ابن محمد وفي ثالث شهر الحجة جاءت
مولانا الشريف الى محمد شاوش ان يتوجه من طريق العرضيات يوم عزم الشريف
الى لقاء الامير فامتنع من ذلك فعند ذلك ظهر لمولانا الشريف غرضه في
اليوم الخامس من ذي الحجة ورد الامر للحسن ان يمكث بمكة وانتظر مجيء مولانا الشر
يف فلم يأته فارسل يسأل عن سبب التاخير فاخبره مولانا الشريف باشياء بحدوثها
وتسوس الشريف على طريقه فارسل لومن مولانا الشريف الامر جاءت فارسل له
يعرض من الساعة رضاه عنه فعند ذلك عزم مولانا الشريف بالخروج على طريق
الجموم ونزل على الزاهر ولقيا الامير وجسما خاطبهما ورجعا وصاط الا
عند وفي فاتم بعد من صاحب مكة انه ضرب على العادة الامير في الجموم فلما وصل الى
منزلها الطلق السابق فعاد الى السكر وفي هذا اليوم ارسل مولانا الشريف
قاصده الى البيضاء وجد هذا ليعرض امر الامير فرجاء صاحب الحج الجبا بعد

ثبت المصادر

أولًا: المخطوطات.

- السنجاري، تقي الدين بن يحي بن اسماعيل بن عبد الرحمن المكـــي، **منائح الكرم في أخبار مكة وولاة الحرم**، (القاهرة، مخطوط بمعهد البحـــوث والدراسات العربية، تحت رقم ٨٣١تاريخ).
- الطبري المكي، محمد بن علي بن فضل بن عبد الله، **إتحاف فضـــلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، (مخطوط بمكتبة المخطوطات بدار الكتـــب المصرية بباب الخلق، وهي جزءان، برقم ٢٢٠٦ تاريخ تيمور، جزءان.
- مجهول، **الأزهار المكية في أخبار الدولة الحسينية في مكة**، (مخطوط بدار الكتب المصرية بباب الخلق، تحت رقم ٩٨٨ تاريخ تيمور).
- المحسن، حسام الدين، **السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما ســـنح من أخبار اليمن وأهله الميامين ١٠٩٢-١١٥٠هـــ**، (مخطوط بدار الكتـــب المصرية بباب الخلق، تحت رقم ١٤١٨تاريخ).

ثانيًا: المصادر والمراجع.

- الأنصاري، عبد القدوس، **تاريخ مدينة جـــدة**، ط١، (جـــدة، مطـــابع الأصفهاني ١٣٨٣هـــ/١٩٦٣م).
- أنـــيس، محمـــد، **الدولـــة العثمانيـــة والمشـــرق العربـــي ١٥١٤-١٩١٤م**،ط١ (القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٧م).
- أوزون، إسماعيل حقي: **أمراء مكة في العهد العثماني**، ترجمة: خليل مراد،ط١، (البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥م).

• باوزير، سعيد عوض: **معالم تاريخ الجزيرة العربية**، ط٢، (عدن، مؤسسة الصبان وشركائه، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م).

• البدر، عبد الباسط، **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**، ط١، (المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج٢.

• البلادي، عاتق بن غيث: **معجم معالم الحجاز**، ط٢، (الرياض، دار مكة ١٤٣١هـ)، جـ١.

• بن الوكيل، يوسف الملواني، **تحفة الأحباب بمن ولي على مصر من الملوك والنواب**، تحقيق: محمد الشيشتاوي، ط١، (القاهرة، دار الأفاق العربية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

• الجاسر، حمد، **المعجم الجغرافي (معجم مختصر)**، (الرياض، ١٣٩٧ه/١٩٧٧م)، ج١.

• حراز، السيد رجب، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠١٩٠٩م، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م).

• الحصري، ساطع، **البلاد العربية والدولة العثمانية**، ط١، (بيروت ١٩٦٠م).

• حمزة، فؤاد: **قلب الجزيرة**، (الرياض، مكتبة النصر الحديث، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

• دحلان، أحمد الزيني: **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، (مطبعة الكليات الأزهرية، مصر١٣٠٥هـ).

• دحلان، أحمد زيني، **تاريخ زيني الدين دحلان المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي إلى وقتنا هذا بالتمام**، تحقيق:

محمد فارس الشيخ، ورأفت عبد العزيز، ط١ (مصر المطبعة الخيرية ١٣٠٥هـ).

• رفعت، إبراهيم باشا، **مرآة الحرمين و الرحلات الحجازية والحج ومشاعره**، ط١، (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م)، ج١.

• الزركلي، خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط١٥، (بيروت، دار العلم للملايين،٢٠٠٢م)، ج٢.

• السباعي، أحمد: **تاريخ مكة**، ط٤، (المملكة السعودية، دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

• الشناوي، عبد العزيز: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**،(القاهرة١٩٨٠م)جـ ١.

• شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر: **ريحانة الألبّاب وزهرة الحياة الدنيا**، ط١، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، (القاهرة، دار عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م)، ج١.

• العاصمي، عبد الملك حسين عبد الملك المكي: **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

• عبد الرحمن، عبد الرحيم عبد الرحيم: **تاريخ الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥م-١٨١٨م**، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩م).

• عبد الغني، أحمد شلبي، **أوضح الإشارات فيمن تولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات**، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن(القاهرة، مكتبة الخانجي١٩٧٨م).

• عبد المعطي، حسام محمد، **العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م).

• عمر، سميرة فهمي على، **إمارة الحج في مصر العثمانية ٩٢٣-١٢١٣ه/١٥١٧-١٧٩٨م**، (القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب٢٠٠٢م).

• فريد، محمد، **تاريخ الدولة العليةالعثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، ط١، (بيروت،دار النفائس١٤٠١هـ/١٩٨١م).

• الفوزان، إبراهيم فوزان، **إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة**، (الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

• ك، سنوك هورخرونية، **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ترجمة: علي عودة الشيخ، (الرياض، دارة الملك عبد العزيز١٤١٩هـ)، ج١.

• كحالة، عمر رضا: **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ط١، (دمشق، مطبعة الترقي ١٣٦٤هـ - ١٩٢٥م).

• المحبي، محمد أمين، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ط١، (بيروت، دار صادر بدون)، ج٢.

• المحبي، محمد أمين، **نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة**، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، (القاهرة، مطبعة الحلبي ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج٤.

• الموسوي، محمد بن عبد الله الحسيني بكبريت، **رحلة الشتاء والصيف**، ط١ (جدة، دار تهامة، ١٤١١هـ).

• نصيف، حسين بن محمد، **ماضي الحجاز وحاضره، الحسين – علي** ط١، (القاهرة، مكتبة ومطبعة خضر١٣٤٩هـ)، ج١.

• نيقولاي ايفانون: **الفتح الإسلامي للأقطار العربية، ١٥١٦– ١٥٧٤م**، ترجمة، يوسف عطا، ط١(بيروت،دار الفارابي ١٩٨٨م).

• هريدي، محمد عبد اللطيف، **شئون الحرمين الشريفين في العصر العثماني**، (القاهرة، دار الزهراء للنشر، ١٩٨٩م).

• وهبة، حافظ، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ط١، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م).

ثالثًا: الدوريات.

• حماد، عرفة محمد، **سياسة الدولة العثمانية تجاه الساحل الغربي للبحر الأحمر**، (السودان، مجلة دراسات حوض النيل – عمادة البحوث والتنمية والتطوير – جامعة النيلين ٢٠١٥م) مجلد رقم (٩)، عدد رقم (١٧).

• الصميلي، على بن حسن، **التنافر بين أمير مكة الشريف سعد بن زيد وسنجق جدة وشيخ الحرم حسن باشا١٠٧٩-١٠٨٢هـ**، (القاهرة مجلة دار العلوم٢٠١٠م)، عدد رقم (٥٥).

• متولي، أحمد فؤاد، **ملامح من تاريخ الحجاز في أوائل عهد الدولة السعودية الأولى**، (الدارة – السعودية ١٩٨١م) المجلد السادس العدد الرابع.

رابعًا: الرسائل الجامعية

• حمـــودة، ســـمية بنـــت محمـــد، **حركـــة الفـــتح العثمـــاني فـــي القرن(١١هـــ/١٧م)**، (المملكة السعودية، رسالة ماجســـتير، كليـــة الشـــريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى،١٤٢٧هـــ-٢٠٠٦م).

• الردادي، عائض بن نبيه، **الشعر الحجازي في القرن الحادي عشـــر الهجري ١٥٩١ - ١٦٨٨م**،(الرياض، رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمـــد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م).

• الصبحي، إبراهيم محمد: **الحجاز في القرن السابع عشـــر، رســـالة ماجستير غير منشورة**، (مصر، كلية الآداب جامعة طنطا،١٩٩١م).

• فهيم، محمد علي بيومي، **مخصصات الحرمين الشريفين فـــي مصـــر إبان العصر العثماني في الفترة من (٩٢٣- ١٢٢٠هـــ/١٥١٧- ١٨٠٥م)**، (القاهرة، رسالة ماجستير جامعة الأزهر الشريف، كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤١٩هـــ/١٩٩٩م).

• فهيم، محمد علي، **دور مصر في الحياة العلمية فـــي الحجـــاز إبـــان العصر العثماني في الفترة من ٩٢٣-١٢٢٠هـــ/١٥١٧-١٨٠٥م**، (مصر، رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر،٢٠٠٣م).

• مالكي، سليمان عبد الغني، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية من منتصف القرن الرابع الهجري حتـــى منتصـــف القرن السابع الهجري**، (مصـــر، رســـالة دكتـــوراه كليـــة الآداب جامعـــة القاهرة١٤٠١هـــ/١٩٨١م).